١٠٤٧
دار م. النحاس
عبير
1047
HARLEQUIN

زوجة تستحق الانتظار

آرلين جايمس

www.liilas.com/vb3

زوجة تستحق الانتظار

أرلين جايمس

كان بولتن تشارلز بالقرب منها يثير قلقها. كانت كلاريس ريفير بالصداقة التي كانت قائمة بينه وبين ابنها، لم تستطع أن تنكر أن الرجل كان جذاباً، يحرك فيها مشاعر قد نسيتها منذ زمن بعيد. ولكن كلاريس... التي كانت تعيش دائماً في ظل رجال متسلطين، لم تستطع التضحية بحريتها الجديدة في سبيل الحب. ليس الآن فقط، بل ربما أبداً...

كاد الأرمل بولتن تشارلز أن ييأس من إيجاد المرأة المناسبة لتقاسمه حياته. وعندما ظهرت كلاريس وابنها واعتقد أن السعادة قد أصبحت في متناول يده، اتضح أن الرحلة المضنية لم تنته بعد.

صبر بولتن كان بلا حدود كحبه... ولكن هل يستطيع أي رجل أن ينتظر إلى الأبد؟

أراد بولتن أن يأخذها بين ذراعيه ويعانقها...

أن يضحك لها، ويعلن أنها هي وابنها هما عائلته.

قال لكلاريس: «إننا نقيم حفلاً خاصاً بعيد الاستقلال في الأسبوع القادم يتضمن نزهة، ألعاباً، موسيقى وغيرها. ثم بعد ذلك نذهب لنشاهد الألعاب النارية. أحب أن تأتي أنت وترنتون معي.»

لم يبدأ قلبه بالخفقان خوفاً من الرفض إلى أن انتهى. إنتظر بفارغ الصبر، ردّها، فابتسمت كلاريس قائلة: «سوف نحب ذلك.»

تطلب إخفاء مشاعره الحقيقية كل إرادته وقوته الشخصية. كاد قلبه يطير من مكانه من شدة الفرح. نعم. قالت نعم. أغمض عينيه شاكراً حظه، ولكنه سيطر على نفسه. لقد وافقت على الرحلة. ولكن هذه بداية جيدة، أليس كذلك؟

www.liilas.com/vb3

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

AWIFE WORTH WITING FOR

Copyright © by Arlene James 1993

ISBN 373-08974-0

Mills & Boon first edition October 1993

الطبعة العربية الاولى عن مؤسسة النحاس ١٩٩٤

عنوان الطبعة العربية

زوجة تستحق الانتظار بقلم أرلين جايس

ترجمة: بثا كاظم

سلسلة عبير ١٠٤٧

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لمؤسسة النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة. وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع. ص.ب: ١١/٩٧١٨ - فاكس ٨٦٦٤٩٩ - هاتف: ٨٦٦٤٩٨ - ٨٦٥٣٧١ . سجل تجاري: ٧٥١٠ . بيروت. تسجيل العلامات التجارية في وزارة الاقتصاد دار م. النحاس للنشر ٥٩٤٣٩ . عبر مؤسسة النحاس ٥٩٤٤٠ | ١٩٩٣ هارلكوين انتربرايزس . عبير ٤١٦١٦ | ١٩٨٢ .

الفصل الأول

كانت دعوة واضحة وبسيطة. ضحك بولتن ضحكة خافتة وألقى نظرة أخرى على الورقة المطوية أمامه. فقد كانت الكتابة المرتجفة السوداء تُظهر أنها كتبت بيد جريئة أصابها العجز بسبب الكبر والمرض. ولكن الكلمات كانت تدل على أنها لمستبد ذي ثقة كبيرة بنفسه. فارتأى بولتن تشارلز انه يجب أن يقدم نفسه في منزل ريڤير في الصباح التالي عند الساعة الحادية عشرة للبحث في قضية مهمة. كانت جدية الكلمات متوقعة. سوف يذهب بالطبع. فالذين هم من ذوي اختصاصه لا يمكنهم تحمل نظرة ازدراء إذا رفض لهم طلباً بالمساعدة. السؤال الذي كان يدور في رأسه هو بماذا يمكنه أن يخدم وليز ريڤير. فقد أوضح وليز ريڤير في الماضي أن تدخل بولتن غير مرغوب فيه. لم يستطع بولتن إلا أن يتساءل عن سبب هذا التغير. ولكنه كلما فكر بالإحتمالات، ازداد تفكيراً وجدية.

وليز ريڤير هو في الثالثة والسبعين من العمر. ويصادف يوم مولده في شهر شباط ـ فبراير. كان بولتن يعرف ذلك، لأنه ككاهن يجب أن يعرف تواريخ ميلاد كل عضو من رعيته بصرف النظر عن حضورهم أو عدم حضورهم إليه. ووليز ريڤير كان واحداً من الذين لا يترددون على الكنيسة. في الواقع ان كارول، زوجة القس، هي من ساعد في اقناع الناس في التردد على الكنيسة. ولقد كان ذلك واحداً من

المشاريع التي حاول زوجها جاهداً أن يستمر فيها خلال السنتين والأربعة أشهر الماضية بعد وفاتها.

سنتان وأربعة أشهر، وأسبوع ويومان. ويمكنه أيضاً أن يحسب الساعات والدقائق إذا أطلق العنان لعاطفته. ولكنه لن يسمح بذلك. كارول انتهت. وحياته استمرت لأن للحياة طرقاً غامضة وسرية. وايمان بولتن لم يكن في حاجة لتعليل هذا الحدث المؤلم في حياته. فكارول ماتت بسبب السرطان، وهو يفتقدها كثيراً. وهو حالياً في حاجة إلى شخص بجانبه ليشاركه حياته، إلى شخص يحبه. هو في حاجة إلى أن يحب شخصاً ما. امرأة له. خلق الرجال والنساء ليحبوا بعضهم بعضاً.

ريفير هو كهل متوعك بسبب مرض في العظام. انه مصمم على الإنعزال. فهو لم يرحب بالإتصالات الهاتفية الثلاثة التي قام بها بولتن كواجب تجاهه. في الواقع، ريفير لم يكن متديناً في الأيام الأخيرة. وفي النهاية صرف الكاهن بكل حزم. ولكنه على الرغم من ذلك، استمر في تبرعه للكنيسة. ربما العجوز يريد الآن أن يوقف مساعدته في دفع الراتب للكاهن. بالطبع، هذا واحد من الأعمال التي يتقاضى عنها الكاهن أجراً. زيارة مؤسسات العجزة واعطاء المساعدات للمحتاجين، بالإضافة إلى تقديم التشجيع، النصح، الإستشارات، التحذير، الصلوات، التعليم، المساعدة... اللائحة لا تنتهي، ولكن كل هذه واجبات، أي واحد منها هو بمثابة نداء له أكثر من مجرد وظيفة. لذلك عليه أن يلغي مواعيده، وأن يحضر غداً عند الساعة الحادية عشرة تماماً في منزل ريفير. سوف يذهب على الرغم من أن ريفير قد

رمى به خارجاً في المرة الأخيرة، وألغى عضويته في الكنيسة، وطالب باسترداد عشر ماله المخصص للكنيسة. لبولتن أسباب مبرّرة. هو رجل دين، كاهن. وقد أقسم على أن يساعد المحتاج جسدياً وروحياً. فهو يعتقد ان لا واجب أهم من هذا الواجب. ولكن كل هذه الأفكار لم تمكنه من معرفة مشكلة وليز ريفير.

هل من الممكن أن يكون الرجل العجوز قد بدأ يظهر اهتماما بروحه؟ المحتضر عادة ما يفعل ذلك. بالطبع هذا ليس ببعيد عن الواقع. فقد يكون الرجل قد دنا أجله. بولتن تمنى أن يكون على خطأ. لم يكن يعرف سابقاً كيف يؤاسي من يفقد أحد اقربائهم حتى وفاة زوجته كارول. وتساءل عن الشخص الذي سيحزن لوفاة وليز ريفير، هذا إذا وجد أحد.

في الصباح التالي، عند الحادية عشرة، كان قد وجد جواباً مرضياً لهذا السؤال. فخلال محادثته مع سكرتيرته كورا بيمز، استنتج معلومات تفيد بأن عائلة وليز ريفير تتألف من وليز، وحفيد صغير، وأرملة إبنه الذي توفي خلال حادث ركوب خيل. ولكن الحفيد والكنة لم يكونا من رعايا الكنيسة. وهذا مرتبط باصرار ريفير على الإنعزال، مما يفسر عدم معرفة بولتن بهما. ومن ناحية أخرى فقد ارتاح لمجرد معرفته بوجودهما.

كان التفكير بهما هو ما يشغل بال بولتن، وهو ينعطف بسيارته المتواضعة، ذات الأربعة أبواب، ليجتاز الأعمدة الرخامية التي تطوق الممر العريض لمزرعة ريفير.

المزرعة هي الكلمة الوحيدة لوصف مكان ريفير. فقد

كانت تقع، كما المنزل المشيد بأسلوب جورجي، مع مبانٍ اضافية أخرى، في بقعة مظللة هادئة على الطرف الشمالي لحدود مدينة دانكن. الموقع نفسه كان نموذجياً لهذا القسم من «أوكلاهوما» الذي كان يتألف من حقول متصلة بمنحدرات منخفضة من شجر الليمون، وبعض شجرات السنديان الباسقة، والنخيل وشجر الصفصاف وبعض الأشجار الشائكة. الكثافة الشجرية محصورة في المناطق المحيطة بالبرك والبحيرات التي كانت تميز هذا القسم الجنوبي من المدينة. ولكن وليز ريفير قد شجّر وادياً مورقاً لطيفاً خاصاً به، وهو هادىء كهدوء أي صباح في أوكلاهوما في أحد أيام حزيران. لقد أذاع المذياع منذ قليل أن درجة الحرارة كانت أربعاً وثمانين درجة بمقياس فهرنهيت وهي في ارتفاع مستمر. ومن الممكن أن تصل التسعين قبل انتهاء النهار. هذا يعني أن الصيف قادم قبل موعده.

أوقف بولتن سيارته في مكان مظلل، وترجل منها. لقد كان المكان هادئاً ما عدا أوراق الشجر وزقزقة العصافير غير المرئية. وظهرت أمامه قطة شقراء ممتلئة، بأذن واحدة، وبعض الجروح في وجهها. كانت تمشي بتمهل وبلا مبالاة على الحائط الرخامي. تبعها بولتن حتى وصلت إلى الباب. شعر بضرورة الكلام ولكن ذلك يبدو سخيفاً.

«يوم جميل للنزهة.»

انتصبت الأذن الوحيدة للقطة لتنذر بالإنصراف، وقفزت نحو العتبة وأخذت تدور حول الوعاء الفخاري الكبير الذي زرعت فيه شجرة صغيرة ونبتة اللبلاب. سار بولتن وراء

القطة، قرع الجرس وسرعان ما فتح الباب. ظهرت امرأة مكسيكية تبتسم له. كانت ترتدي بلوزة بسيطة مع مريلة بيضاء، وتنتعل حذاء أسود. كانت أطراف شعرها موشحة بالبياض ولكن الضفيرة التي تدلت على كتفها كانت شديدة السواد. ارتفع حاجباها السوداوان متسائلة:

«كاهن؟»

أومأ بولتن برأسه: «أنا القس تشارلز. ومن أنت؟»

«أنا تيريزا.»

«تشرفت بمعرفتك، يا تيريزا.»

تمتمت، وأشارت بيدها ليتبعها وأعلمته: «السيد وليز في غر.. غرفة المطالعة.»

قادته عبر البهو إلى قاعة معتمة على جانب الدرج. فتحت باباً وتنحت جانباً.

أحنى بولتن رأسه لها وابتسم: «تيريزا!»

ضحكت، وأسرعت إلى الخارج. دخل بولتن إلى الغرفة المعتمة.

كان وليز ريفير يجلس على كرسي خاص بالمقعدين أمام مدفأة باردة. طلب من بولتن باختصار: «أقفل الباب.»

أذعن بولتن لأنه لم يتوقع استقبالاً لطيفاً أو حديثاً مهذباً ولائقاً. تقدم نحو الداخل قليلاً، وأخذ يراقب العجوز الذي كان يحدق به بعينين ثاقبتين. لم يبد على وليز أي تغير في بنيته. فشعره برغم بياضه كان كثيفاً جداً وأنيقاً بشكل لافت للنظر. ووجهه المصاب بخدش صغير كان يبدو حيوياً برغم أنه غائر. أنفه المدبب رفيع مع حاجبين كثيفين بيضاوين ويبدو أنهما في عبوس دائم. من الواضح أن هذا

www.liilas.com

الوجه مدين بحيويته لفمه العريض الممتلىء. نعم، فمه وعيناه اللامعتان كالياقوت الأزرق هما سر حيويته.

نظر بولتن إلى السترة الصوفية الخمرية اللون، وإلى القميص الناعم الرمادي مع ربطة العنق الدقيقة، ثم إلى السروال المجعد الأسود. بعد هذه المراقبة قرر أن الموت لم يقرع هذا الباب بعد. ارتاح قليلاً وسأله بشيء من الفضول: «بماذا أخدمك، يا وليز؟»

تراجع ريڤير إلى الوراء في كرسيه. لقد كان رجلاً طويلاً ويداه كبيرتان برغم ضعفهما، ولا تزالان صلبتين. كان يبدو أنه يحاول معرفة شيء ما. وبعد ما فعل ذلك أومأ برأسه وقال:

«إجلس، أيها الأب. لا أحب أن أطلب خدمة من أحد، وأنا أرفع نظري إليه.»

حاول بولتن أن يخفي دهشته وهو متوجه نحو الكرسي الجلدي. «خدمة؟ منذ متى وليز ريڤير يطلب خدمة من أحد؟»

انحنى بولتن إلى الأمام مظهراً استعداده للإستماع.

عبس وليز ريڤير وهو يقول معلقاً: «ما الذي علىّ دفعه لاستعيد ذراعي ورجلي؟»

رفع وجهه وقال: «عندي وظيفة لرجل، رجل بكل معنى الكلمة، لا أريد رجلاً ضعيفاً يخاف خياله. ولكن انتبه، لا أريد مستبداً. أريد شخصاً ذا شخصية قوية وايمان عميق. وأعتقد أنك هذا الشخص.»

لم يستطع بولتن هنا أن يخفي دهشته حتى لو حاول ذلك فقال: «حسناً، شكراً.»

رفع ريڤير يده رافضاً: «لقد قابلت عدداً من الكهنة

الجيدين في حياتي. بعضهم حساس لدرجة التخنث، وهم لا ينفعون لهذه الحالة. وبناءً على حكمي أعتقد أنك استثناء بين هؤلاء، ولهذا طلبت منك الحضور.»

انتظر بولتن وهو متأكد أن المزيد آتٍ.

ابتسم وليز ريڤير بطريقة واثقة ومغرورة، ثم دخل في صلب الموضوع قائلاً: «عندي حفيد في الثامنة من العمر، وقريباً يصبح في التاسعة. والده قُتل منذ سنوات. قام بعمل أحمق وركب حصاناً جامحاً فوقع وكسر عنقه. منذ ذلك الوقت، لم يكن هناك سواي ووالدته. إنه في حاجة إلى رفقة وتأثير رجل كامل، قوي ومحترم، شخص يعرف واجباته، ولا يتهرب منها.»

يا للعجب! هذا العجوز يبحث عن نائب والد حفيده!! رفع بولتن حاجبيه البنيين محتاراً بين الإنزعاج أو المرح. من الواضح أن ريڤير اعتقده الرجل المناسب للوظيفة. ولكن بولتن شك في أن يعتبره ريڤير سهل القيادة أيضاً. لذلك اعتقد أن الوقت قد حان ليفهم العجوز هذا الأمر: «أعتقد أن القيام بدور الأب لطفل لم أره يوماً... ليس من ضمن واجباتي. أنا كاهن ولست أباً بالنيابة.»

أدار ريڤير رأسه مع نظرة تدل على نفاد صبره. وقال: «هذا ما أريده بالضبط. أنت كاهن وأنا واحد من رعيتك، وأنت لن ترفض طلب مساعدة من أحد رعاياك. فأنا أعرفك جيداً. اضافة إلى ذلك، فالولد في حاجة إليك. لم يطلب منك أحد أن تتبناه. فقط أمض بعض الوقت معه، واتركه يرى كيف تتصرف أو تتعامل مع نفسك. والآن، هل ما أطلبه مستحيل؟»

عبس بولتن: «هل هذا شيء مستحيل؟» إنه شيء عجيب،

www.liilas.com/vb3

ولكن هل هو مستحيل؟ حسناً، إن هذا يعتمد على من يتعامل معه. أي حفيد لوليز ريڤير مصيره أن يكون وريثاً صغيراً. إلا إذا شاء القدر أن يحطم غطرسة وليز. من الممكن أن يكون الفتى نوعاً من خيبة الأمل للعجوز. قد يكون التعجرف الطبيعي لآل ريڤير ناقصاً عنده. لذلك يمكن أن يعتبره جده غبياً. أو ربما الصبي في حاجة إلى شخص يرفه عنه. إسترخى بولتن في جلسته وسوّى تجاعيد كمه مفكراً. وأخيراً نظر إلى الأعلى قائلاً: «عليّ أن أقابل الولد قبل أن اتخذ أي قرار.»

هز ولز رأسه، وارجع كرسيه إلى الوراء. وعند وصوله إلى جانب المدفأة ضغط على جرس كهربائي معلق على الحائط. بعد نصف دقيقة، فتحت تيريزا الباب قائلة: «هل طلبتني يا سيدي؟»

«أحضري ترنت حالاً.»

أسرعت المرأة بالخروج وتركتهما. خلال غيابها هدأ وليز، وقام ببعض الأحاديث الصغيرة معلقاً على الطقس وعلى الأوضاع الإقتصادية قبل أن يعود إلى الحديث عن حفيده. الطفل كان قد أنهى دراسة الصف الثاني، وقد كان تلميذاً مميزاً ومجتهداً في الرياضيات واللغة. وأيضاً كان يتعلم العزف على البيانو، والتزحلق على الزلاجة. وهو أيضاً المصارع الأول في صفه. من الواضح أن وليز يفتخر بالصبي برغم أنه يظهر اللامبالاة. لم يكن يعرف بولتن ماذا يتوقع. عندما فتح الباب في المرة الثانية، جلس إلى الأمام ليرى الداخل بكل فضول.

طفل صغير ذو شعر بني وعينين تشبهان عينيّ جده. لقد

كان فتى طبيعياً، يلبس سروالاً قصيراً من الجينز مع بلوزة أنيقة مطبوع عليها صورة فريق لكرة السلة. كان يضع ساعة يد وينتعل حذاء رياضياً غالي الثمن وجوارب سوداء. شعره الكثيف البني كان يتبع الموضة. قصير جد من الوراء، ولكنه طويل قليلاً على الجانبين، ومن الأمام. لقد كان الصبي أطول ممن هم في سنه فهو جسدياً أكثر نمواً من أي ولد في الثامنة من العمر. وأما ما تبقى فالطفل طفل عادي. وجهه لا يزال صغيراً لا يظهر أي بروز مميز في العظام أظافره كانت مقلّمة جيداً كأنه يقضمها. وتحت الركبة كان هناك خدش واضح. خاطبه وليز قائلاً:

«تعال إلى هنا، يا ترنت، وتعرف على القس تشارلز.»

تقدم الصبي من دون أي تردد وسلّم على بولتن بيد متسخة. غمر بولتن يده واستغرب القوة الموجودة في قبضة الصبي. قال الصبي: «كيف حالك يا سيدي؟»

«بخير، شكراً، وأنت يا ترنت؟ عندي شعور بأننا قاطعناك عن القيام بشيء مهم ومشوق.»

هزّ الصبي رأسه. فقد كان من النوع الهادىء، ولكنه كئيب بعض الشيء. وصرّح قائلاً: «كنت ألقي نظرة على فخي.»

ضحك وليز ضحكة خافتة وقال: «عندنا ظربان في مكان ما. قد أعطيت الأوامر بقتله بالرصاص. ولكن ترنت عارض حلّي للمشكلة. فهو يعتقد أنه يستطيع أن يمسك هذا الحيوان، ويجعله صديقاً له.»

ابتسم بولتن بادب قائلاً: «هل درست احتمال أن يكون الظربان يحمل داء الكلب؟»

www.liilas.com/vb3

رفع الصبي ذقنه قليلاً وقال بطريقة عملية: «لم أكن لأدعه يعضني.»

استدرك بولتن بسرعة: «طبعاً لا، كنت أفكر بالحيوانات التي يمكن أن يؤذيها الظربان مثل ذلك القط العجوز الذي التقيته خارجاً.»

تمتم الصبي وهو يفكر: «جنرال.»

سأل بولتن: «عفواً؟»

بدت على ترنت الدهشة للحظة، ولكنه قال: «آه، إسمه جنرال. جنرال توم.»

قال بولتن: «يعجبني هذا. فالإسم يناسبه.»

قال ترنت: «هو ليس قطاً لطيفاً، فإذا حاولت مداعبته قد يخدشك ببراثنه. ولكنني أحبه على أي حال.»

علّق بولتن: «هو يجعلك تحترمه، أليس كذلك؟»

نظر الفتى بتأمل. كأنه يكوّن رأياً. اعتقد بولتن أن رأيه سيكون مؤيداً. ومن الواضح أن وليز كان يعتقد ذلك أيضاً. وهذا ما كان يهم العجوز. قال وليز وهو يصرف الفتى: «يمكنك العودة إلى البحث عن فخك الآن، يا ترنت.»

انزعج بولتن فجأة لاستبداد العجوز وسيطرته. وقبل أن يتمالك نفسه، أمسك بيد الصبي قائلاً: «ليس الآن. أحب أن أسألك بعض الأسئلة.»

توتر الصبي، ولكنه لم يعترض وسأله: «عَمَّ؟»

«ما هي أشياؤك المفضلة؟»

هز ترنت كتفيه بلا مبالاة: «ألعاب الفيديو، القراءة، الأفلام، الرسوم المتحركة، وأحب أن أرسم أحياناً.»

سأله بولتن: «من هو صديقك المفضل؟»

شعر الصبي مرة أخرى بالتوتر. فكر ملياً وألقى نظرة حائرة نحو جده وقال: «ديني كارتر، على ما أعتقد.»

عبس العجوز، فأضاف ترنت: «إنه أكبر مني سناً، ولكنه ليس أضخم، وهو الوحيد الذي يمكنه التغلب عليّ في المصارعة.»

أصر بولتن: «إنك تحبه، أليس كذلك؟»

حدق ترنت لفترة طويلة وأجاب أخيراً: «مثل جنرال توم.»

سأله بولتن متأملاً: «إنك تحترمه إذا... وهل هو يحبك؟»

تردد ترنت قليلاً ثم استرد ثقته وقال: «إنه يحب قدرته على التغلّب عليّ.»

تساءل بولتن بينه وبين نفسه، عما سيكون جواب ترنت لو سأله إذا كان هو من يسمح لديني كارتر بأن يغلبه، فقد لمح شيئاً في نظرة الصبي الهادئة، كأنه يخشى هذا السؤال بالذات. أشفق بولتن على الصبي، وربت بيده على كتفه. وأضاف مبتسماً: «كل شخص يعجب بك يا ترنت، فأنت تعجبني بكل تأكيد.»

كان الإرتياح بادياً على وجه الفتى، برغم أنه ضمني. وقال مخاطباً بولتن: «لقد تشرفت بمعرفتك يا سيدي.»

وضع بولتن يده على كتف الصبي، وهو يودعه قائلاً: «لقد تشرفت بمعرفتك أنا أيضاً، يا ترنت.»

أسرع الصبي بالخروج بكل حماس، كما يفعل أي طفل للهرب من وجود الكبار المربك. عندما اختفى عن النظر، إلتفت بولتن نحو وليز ريفير. لقد كان العجوز عابساً، ولكنه ابتسم بسرعة. شك بولتن في أن العجوز قلق على عدم قدرة الصبي على ايجاد رفاق له. قال

www.liilas.com/vb3

بولتن: «إنه صبي جيد، وأحب أن أمضي معه بعض الوقت.»

الاحساس بالنصر أعطى العجوز زخماً جسدياً على الفور وقال: «رائع، سوف أعلم كنتي لتحضره غداً لكي تتعرّف أكثر عليه.»

والدة ترنت، زوجة ابنه، رفع بولتن رأسه قائلاً: «أعتقد أنها موافقة على هذا التدبير.»

حرك الرجل العجوز يده قائلاً: «لماذا لا توافق؟»

أطرق بولتن رأسه. «مستبد» هي صفة تقلل من قدر العجوز، استقام واقفاً، وقد لاحظ أنه على وشك أن يفقد أعصابه، وهو لا يريد أن يطلق العنان لذلك. قال بحزم: «أعتقد أنني لن أكون متفرغاً قبل الساعة الرابعة. لذلك سوف أنتظرهما عند الرابعة.»

وافق ريڤير: «إذاً عند الساعة الرابعة.» ومد يده ليسلّم على بولتن بحذر. كان بولتن يعلم أنه لن يسمع أي تعبير بالإمتنان. ولكن هذا لا يهم. مهما فعل الآن، وبولتن غير واثق مما سيفعل، فهو لمصلحة الولد وغير مبال لنوايا جده. سوف يتخذ قراره بعد محادثة مع أم الصبي، وليس قبل ذلك. فهو يرى أن الجهة المسؤولة عن مصلحة الصبي هي أمه، وواجبه هو تجاه الصبي وليس للجد. ارتاح بولتن قليلاً لهذه الفكرة، ولم يؤنب نفسه لتلذذه بتلك الفكرة، وهو يصافح يد الجد المرتجفة.

خرج بولتن وحده. فتيريزا قد أزعجت بما فيه الكفاية هذا اليوم. لقد كان جائعاً لأن موعد الغداء قد حان. عند ركوبه السيارة قرر أنه سوف يأكل في طريقه إلى الكنيسة.

عادة هو يأكل مع كورا، ولكن كورا تتناول الغداء مع ابنتها وأحفادها هذا اليوم، لذلك فالغداء اليوم سيكون وحيداً كما هي الحال في معظم وجباته.

وقف قليلاً عند البوابة الخارجية لمزرعة ريڤير يفكر بالموضوع. لقد ساعد اناساً كثيرين في السابق، وعبر السنين، ولكنه لم يلعب أبداً دور الأب. هناك بعض السخرية في كل هذا. من الطبيعي أن يكون بولتن الآن أبا حقيقياً. لقد شاء القدر أن يحرمه هذه النعمة، ليس لأن الوقت متأخر، فهو في السابعة والثلاثين، وقد كان ينوي الزواج ثانية. فكارول قد أصرت عليه أن يفعل ذلك قبل وفاتها، ولكن المشكلة هي أنه لم يجد بعد المرأة المناسبة له. فالصيف الماضي، ولفترة قصيرة، كان يسير في الإتجاه الصحيح، ولكن السيدة قد وجهت اهتمامها إلى مكان آخر. ابتسم وأخذ يفكر بعائلة غيلز. كم يغبط هذه العائلة المؤلفة من وايت الأب، وتوأمين وامرأة رائعة، وهي حالياً تنتظر طفلاً آخر. من الجيد أنه أحب وايت غيلز وإلا لكانت علاقتهما متوترة بسبب اهتمامه السابق بزوجته.

كان بولتن يعدّ آل غيلز من أصدقائه المقرّبين جداً. وايت كان متشدداً في بعض الأمور، ولكن هذا ما كان يعجب بولتن. فوايت صريح، ولا يراهن أحداً، مما يجعل العمل معه سهلاً ومريحاً. لقد كانت علاقته بوايت حسنة ومفيدة له.

ربما هذا التدبير مع وليز ريڤير سيكون جيداً له. برغم أنه رجل مشغول دائماً، فهو يشعر بالوحدة. فمن المرجح أن ترنت سوف يحيي أشياء كثيرة. فأكثر ما يحتاجه الصبي هو شخص يلعب معه. شخص يشعره بالأمان والحماية

www.liilas.com/vb3

والسعادة. وهو يعتقد أن الصبي في حاجة إليه. ربما هما في حاجة إلى بعضهما. فالصبي يبدو وحيداً مثله. وللمرة الأولى تساءل عن أم ترنت. فوليز بالكاد ذكرها، وترنت لم يحظ بفرصة ليفعل ذلك. تساءل بولتن عن سر عدم رؤيتها قبلاً. فمن الغرابة أنها لم تحضر يوماً قداس الأحد. ربما هي من ديانة أخرى. إذا كان هذا صحيحاً، فهل ستعارض قضاء بعض الوقت مع ابنها؟ وفجأة تمنى أن لا تكون الحالة هكذا. فقد أحب الطفل. ودهش لشوقه للقاء الأمل.

عند الساعة الرابعة، قرع باب مكتبه قرعاً خفيفاً. وضع بولتن الخطبة التي كان يحضرها جانباً، وقام ليقف أمام مكتبه.

«إدخل.»

فتح الباب، ودخلت امرأة فتية وجميلة. استقام بولتن على الفور مأخوذاً بالمخلوق الرقيق أمامه. تدلى شعرها الأمامي الذهبي على عينيها. أما باقي شعرها، فقد كان في فوضى رائعة. رفعت يدها لتدفع الشعر عن وجهها، ليعود ويتساقط مجدداً كأجنحة ناعمة ليظهر أنه قصّ بطريقة أنيقة. ابتسمت بتهذيب وكانت نعومة فمها تتناقض مع الحدة في عينيها الخضراوين الكبيرتين تحت الحاجبين المقوسين. أنفها برغم صغره دقيق وجذاب. ووجهها مستدير جميل، وكان كل ما تضعه من مجوهرات هو لؤلؤة في كل أذن. وقد لاحظ أنها لا تضع خاتم زواج.

رفعت يدها الناعمة المطلية اظافرها باللون الزهري الهادىء: «الأب تشارلز، أنا كلاريس ريڤير.»

ابتسم: «إعتقدت ذلك.»

انتبه إلى أن يده قد ضمت يدها عندما صافحها. لقد كانت يدها ناعمة ودافئة، مما أشعره بثقل وضخامة يده. وقال: «أين ترنت؟ اعتقدت أنه معك.»

ابتسمت ابتسامة رقيقة: «صحيح، وليز كان ينوي ذلك، ولكنه ينسى دائماً أن لترنت أماً لا تتخلى عن مسؤولياتها، شعرت بأن علينا أن نتكلم قبل أن أقرر إذا كانت فكرة وليز جيدة أم لا.»

حسناً، هذه كانت مفاجأة. فها هنا امرأة شابة ورقيقة لم يستطع وليز أن يسيطر عليها ويرعبها، برغم محاولاته الأكيدة. فالسيدة تملك قوة مخبأة. أعجبه ذلك. فشد بقبضته على يدها. وعندها فقط انتبه إلى أنه لا يزال يمسك بها، فتركها مكرهاً. قدم لها كرسياً لتجلس ثم بجهد متعمد ابتعد بعض الشيء عنها، وعاد إلى مكانه خلف المكتب.

عندما جلسا بارتياح قال: «ما الذي تريدين معرفته يا سيدة ريڤير؟»

عبست قليلاً: «نادني كلاريس إذا سمحت. فالسيدة ريڤير تذكرني بوالدة زوجي.»

أومأ برأسه مسروراً: «امرأة حسنة على ما اعتقد.»

أجابت بكل بصراحة: «لا قيمة لها.» ثم عبست لتقول: «سامحني أرجوك. أخشى أن تكون السخرية ضرورية في حالتي وظروفي. فوليز هو رجل متسلط بشكل مرعب، وأجد أن عليّ أن أذكر نفسي دائماً بأن لا أذعن له.»

سألها بولتن بلطف: «وهذا ما فعلته أنت؟»

أخذت كلاريس ريڤير نفساً، وكأنها ارتاحت لأنه فهم ما تعنيه وقالت: «نعم، وهذا ما قلته أنا لفترة طويلة أيضاً.»

www.liilas.com.vb3

حرك أصابعه قبل أن يقول: «أعتقد أن لهذه الزيارة علاقة بعدم الإذعان مرة أخرى»

ابتسمت هذه المرة ابتسامة خجلة لما فعلته: «إنك رجل مميز أيها الكاهن.»

منع نفسه من إعطائها اسمه الأول مذكراً نفسه بأنه يتعامل معها بشكل عملي، وقال بحذر: «أنا لا أعرف وليز جيداً، ولكنني أفهمه جيداً»

ضحكت ضحكة مشرقة: «أعتقد أنه محق هذه المرة.»

«محق بماذا؟»

«لقد قال عنك، انه سيكون لك تأثير حسن على ابني.»

إن سروره لا يوصف وخطر بعض الشيء. وبجهد شديد استطاع أن يضبط أعصابه وتصرفاته عند حدود العمل. وقال: «شكراً، إنني أنتظر بفارغ الصبر أن تمضي بعض الوقت مع ترنت. ربما استطعت اعطائي بعض المعلومات عن الأشياء التي يمكنني القيام بها معه. فنشاطاته تبدو نشاطات منفردة.»

عبست قائلة: «نعم، إنني أدرك ذلك.»

تنهدت وهي تتراجع إلى الوراء كأنها على وشك أن تفضي بسر شخصي، وأضافت: «يجب أن أشرح لك شيئاً. هذا الإصرار مني على ألا أدع وليز يدير حياتنا من جديد. عندما تكون ضائعاً، ووحيداً ومسؤولاً عن طفل صغير فمن السهل أن يسيطر عليك شخص آخر. وعندما يكون هذا الشخص وليز ريفير، تجد نفسك منساقاً كلياً. وتبدأ بفقدان السيطرة على نفسك، وعندما يحصل ذلك تبدأ بفقدان الأمل لتتابع حياتك. لقد تركت هذا يحصل لي لفترة طويلة ولكن

عندما لاحظت أن ذلك يحصل لابني أيضاً، بدأت أقاومه بكل طريقة ممكنة، وإني أحاول أن أحارب بذكاء وأن أدير معاركي من مركز قوة. ولكن هذا غير سهل يجب أن أدرس كل قضية جيدا، وأن أتأكد إذا اتخذت موقعاً مغايراً لوليز سوف يكون الموقف الصحيح، هل تفهم ما أعنيه؟»

كبت بولتن شوقه غير المناسب بأن يصفق لهذه المرأة. عوضاً عن ذلك، استوى إلى الأمام يحاول خنق حماسه قائلاً: «أنا لا أؤيدك فقط، بل سأساعدك بكل ما أستطيع.»

كانت ابتسامتها هذه المرة مشرقة ولامعة. تركته لاهثاً. وأخبرته: «هذا يعني أنني أستطيع أن أثق بك. وأنك ستأخذ رغبتي بعين الإعتبار في حال تناقضت مع رغبة حميّ.»

صدم قليلاً: «ولكن هذا مفهوم. فأنت قبل كل شيء والدة الطفل.»

ظن بولتن بأنه رأى وميض الدمع في عينيها قبل أن تخفي نظرتها. لكنها عندما رفعت نظرها كانت في سيطرة تامة على نفسها. وضعت رجلاً فوق رجل وهي تشد بلطف طرف ثوبها. وجد بولتن هذه الحركة مثيرة، ولكنه رفع نظره إلى الأعلى على الفور.

«أنا مندهشة قليلاً لمجرى الأمور، كنت أريد أن أكون صريحة معك وقد سهلت عليّ ذلك. والآن أريدك أن تكون صريحاً معي.»

جلس إلى الوراء وهو معجب بها وأجاب: «مهما كلف الأمر.»

قالت: «هل أجبرت على هذا التدبير مع إبني؟ أليس الإهتمام بطفل غيرك غير مناسب؟ ألا تفضل عدم القيام بذلك؟»

www.liilas.com

لم يستطع بولتن إلا أن يضحك: «لا، في الحقيقة إنني متشوق للقيام بذلك. جداً.»

بدت مسرورة، مسرورة جداً. إرتاحت وأشرق وجهها. اتسعت عيناها لتشبه عينيّ الأيل. وقالت: «آه، كم تسهل الأمور عليّ. لا أستطيع أن أقول لك كم أنا ممتنة، فترنتون في حاجة إلى إرشاد رجل، أيها الأب تشارلز، ولا يمكنني أن أكون مسرورة باختيار قام به حموي مثل الآن. لكن يجب أن تعدني بأنك لن تسمح لنا بأن نأخذ من وقتك وكرمك.»

أحس بالحرارة في كل انحاء جسمه. حرارة غريبة ولكن مألوفة في نفس الوقت، وسمع نفسه يقول: «أعدك ولكن شرط أن تنادينني بولتن.»

ابتسمت له ابتسامة رائعة للمرة الثانية وأجابته: «طبعاً، وعليك أن تنادينني كلاريس.» نهضت لتقف على قدميها ومدت يدها لتصافحه: «شكراً يا بولتن على كل شيء.»

اندفع إلى الأمام قائلاً وهو يمسك بأطراف أصابعها: «آه! بخصوص ترنت... هذا... اقتراحاتك بشأن النشاطات التي تهمه... تهمنا... هو أنا... هذا...»

أخذت تضحك على تردده ضحكة حميمة وقالت: «إنني متأكدة من أنك سوف تستنتج ذلك بنفسك. لماذا لا تأخذ رأي وليز بذلك؟ أو لماذا لا أحضر ترنتون لزيارة قصيرة إلى هنا لتقررا بماذا تبدآن. موافق؟»

وافق وهو يشعر بالسخف لأنه تردد في ذلك. «حسناً، هذا المساء ربما؟ أو غداً صباحاً؟ اختاري ما يناسبك.»

أجابته: «نحن تحت تصرفك كلياً. إختر أنت وقتاً.»

لم يكن يستطيع التفكير. أخيراً اختار موعداً عفوياً وقال: «التاسعة والنصف.»

صافحته قائلة: «التاسعة والنصف غداً صباحاً هل هذا ممكن؟»

غداً صباحاً طبعاً. التاسعة والنصف مساءً ليس الوقت المناسب لبدء مثل هذا الموضوع. أجاب وهو يأمل ألا يبدو غبياً كما هو شعوره الآن. «حسناً.»

ابتسمت له بلطف: «أراك غداً.»

«حسناً. أقصد غداً بكل تأكيد.»

«التاسعة والنصف.»

«ري... أو... أو...» ماذا يفعل بحق السماء؟ لقد بدا كإسطوانة مكسورة. سحبت يدها من يده بلطف والبسمة ذاتها على وجهها.

غرق بولتن في زاوية مكتبه وصورتها شاخصة أمامه. لم تكن كما توقعها أبداً. هذه المرأة ليست بالشخص عديم القيمة أو المهزوم. كانت لطيفة، نعم، حساسة حتى الرقة، ولكنها ذكية ومصممة. فهي تملك شعلة من الحيوية وقد أصابته بشيء من الحيوية أيضاً. آه، أجل شرارات في كل مكان. ضحك بصوت مرتفع وهو متحمس لرؤيتها مجدداً ليشعر بالشرارات مرة أخرى. فجأة، تذكر شيئاً فانحنى على مكتبه وضغط الزر الموجود أمامه وقال: «كورا؟»

«نعم؟»

«أرجوك، هل أنا مرتبط بأي عمل غداً في التاسعة والنصف؟»

«غداً؟»

www.liilas.com/vb3

«التاسعة والنصف صباحاً؟»

تبع ذلك صمت طويل ثم قالت: «آه يا بولت غدا يوم السبت!»

السبت! فغر فمه ثم اقفله وبدأ يضحك. السبت. من الواضح أن عقله قد أخذ عطلة طويلة في اللحظة التي دخلت فيها كلاريس إلى المكتب. هل يعقل أن يكون وليز ريفير من بين كل البشر هو من عرفه على المرأة التي وعدته حبيبته كارول بوجودها؟

إذاً، فما رآه العجوز صحيح. للقدر مشيئة عجيبة. هز رأسه. وليز ريفير من بين كل البشر. معجزات من الواضح أنها لا تزال تحدث.

الفصل الثاني

كان ينتظر في المكتب الخارجي عندما وصلا. اتكأ على زاوية مكتب سكرتيرته وهو يعقد رجليه الطويلتين عند الركبة. كان يبدو جذاباً ومرتاحاً بشكل لافت للنظر بحذائه القماشي والجينز الأبيض والقميص الأزرق السماوي. ارتسمت على فمه ابتسامة ترحيب حظيت بترحيب مماثل. لم تكن تستطيع أن تقاوم رغبتها في منحه هذه الإبتسامة. وبعد دقائق، وجدت نفسها في منتصف الغرفة تضحك امام بولتن. حدق بهما ترنتون بشيء من الفضول غير الخفي. النظرة التي كانت على وجهه أفصحت عن كل شيء: أمه لا تقهقه أبداً. بلعت كلاريس ريقها وغيرت تعبيرها.

خاطبته بشكل محتشم: «الأب تشارلز.»

هذان الحاجبان التصقا بشكل عبوس. وقال بولتن: «إعتقدت أننا اتفقنا على الأسماء.»

نعم، هذا ما حصل. ماذا يحدث لها، فقالت: «نعم، طبعاً! حسناً، بولتن. أعتقد أنك التقيت ابني ترنت!»

إستقام وتقدم إلى الأمام منحنياً قليلاً ليقدم يده للصبي وقال: «طبعاً التقيته. كيف حالك هذا الصباح، يا ترنت؟»

صافحه ترنت بكل أدب وقال: «بخير يا سيدي، شكراً.»

طوى يديه مفكراً وقال: «إنك تملك تصرفات ممتازة أيها الشاب. ولكن هل تعتقد انه يمكننا وضعها جانباً من أجل شيء كالصداقة مثلاً؟»

www.liilas.com/vb3

إكتفى الفتى بالتحديق بالرجل الطويل الواقف أمامه ثم استدار نحو أمه ببطء، ونظر نظرة تساؤل. ابتسمت كلاريس. لِمَ لا؟ ان طفلها لم يحظ بالفرصة لكي يكون كسائر طفل. لماذا تعتقد أن هذا الرجل يمكنه أن يعلم ابنها كيف يكون طفلاً؟ أعاد ترنت انتباهه إليه وتعبيره غامض كالعادة ووافق.

داعب بولتن تشارلز شعر الصبي قائلاً: «حسناً، الآن أيها الصديق إليك الصفقة. عندما نكون أنا وأنت أو ربما أنت وأنا ووالدتك. أحب أن تدعوني بولتن. هل هذا يناسبك؟»

أدار ترنت عينيه وهو يفكر. مسحت كلاريس شعره محاولة تصفيفه بيدها، وهي تحاول أن تطبع هذه اللحظة في رأسها. كان فتى رائعاً، لائقاً جداً، جميلاً جداً، ومصمماً على أن يكون كل ما يتوقع منه. وليز اراده نسخة عن ولده الذي فقده والذي كان بدوره نسخة عنه، ولكنها كانت تريد ابنها أن يكتشف ماذا يريد أن يكون.

لم تكن تحت تاثير أي وهم بخصوص نوايا وليز في وضع هذا التدبير. هدفه بالطبع أن يبعد ترنت بقدر المستطاع عن تاثيرها. ولكن وليز لم يع أنه باحضار بولتن ليملأ فراغ الصبي كان قد أبعد حفيده عن تاثيره ايضاً. أنزلت يديها إلى كتفي ابنها لتحثه على محادثته.

أطاعها ترنت وأعلن بكل حزم: «أعتقد باني سوف أدعوك بولت.»

حرك بولتن رموش عينيه. من الواضح أنه قد دهش، ولكنه رفع يده إلى ذقنه وابتسم ببطء قائلاً: «حسناً، إذا كان هذا يعجبك.»

هز ترنتون كتفيه مظهراً عدم الإكتراث وقال: «نعم يعجبني، فهذا يلائمك.»

قال بولتن: «هل يلائمني هذا باعتقادك؟»

اعترف ترنت: «أجل، إلى جانب ذلك أنا أحب أن تكون لدي بعض الألقاب لأنادي الناس بها.»

ضحك بولتن: «حسناً، فليكن بولت. والآن أفترض أنك ستخبرني بماذا تفضل أن أدعوك.»

كان الجواب واضحاً وسريعاً: «ترنت.»

سأله: «ليس ترنتون؟» وألقى نظرة نحو كلاريس.

دفع الصبي رأسه إلى الخلف وألقى بنظرة خاصة نحو أمه. وكادت العاطفة في قلب كلاريس أن تملأ صدرها عندما لاحظت الحب والثقة في عيني ابنها. ولكن هناك أكثر من ذلك. في هذه النظرة كانت هناك الرغبة في الحماية وهذا ما جعلها تجفل في الداخل. كيف سمحت بحصول هذا؟ ما من فتى آخر يحمل عبء حماية أمه؟ إن على الأمهات حماية أولادهن وليس خلاف ذلك. وبصمتٍ وعدت ابنها بأن كل هذا سوف يتغير وشدت يدها على كتف ابنها. بدا أن هذا أرضى ابنها لأنه عندما أعاد نظره نحو بولت قال: «ترنتون هو الإسم الذي تناديني أمي به.»

كان من الأفضل لو أنه أضاف أنها هي الوحيدة المسموح لها أن تفعل ذلك.

رفع بولتن نظره نحو كلاريس، ولكنها لم تستطع أن تفهم التعبير فيه. وقال بهدوء: «هذا حسن.» والتقت عيناه بعينيها لدقيقة قبل أن يعود بنظره إلى الصبي قائلاً:

www.liilas.com

«حسناً، يا ترنت، لقد كنت أنوي أن نلعب قليلاً بكرة البيسبول هذا الصباح. هلا انضممت إليّ؟»

علمت كلاريس هذه المرة أن نظرة ابنها تحمل شكاً يحاول إخفاءه.

أجاب بكل فظاظة: «إذا كنت ستحب ذلك.»

فهم بولتن تشارلز ما كان يقصده ترنت.

هز كتفيه: «لماذا لا نحاول أن نجرب ذلك؟ إذا لم نكن جيدين، سوف نقوم بشيء آخر.»

أدار ترنت عينيه مرة أخرى، ثم وافق بسرعة.

ربت بولتن على كتفه بخفة قائلاً: «عظيم.» وأشار نحو الباب في الحائط البعيد. وأكمل: «هناك قفازان وطابة بالانتظار على الكرسي الأسود في داخل مكتبي. وريثما تحضرها سوف أتحدث مع والدتك.»

نظر ترنت نظرة سريعة نحو أمه ثم تركهما. راقبته كلاريس وهو يخرج من الباب ثم أعادت انتباهها نحو بولتن تشارلز وقالت بخفة: «إنك تعالج الأمور جيداً.»

ابتسم قائلاً: «لقد تكلمت مطولاً مع سكرتيرتي البارحة. عندها حفيدان. لعلهما أصغر من ترنت. ولكن بما أنها ربت ثلاثة أولاد كانت قادرة على إعطائي بعض الملاحظات. نصيحتها الأهم، على ما أعتقد، هي أن أشارك ترنت الأشياء التي أحبها كثيراً.»

استنتجت كلاريس: «وأنت تتمتع بلعب البيسبول.»

اعترف قائلاً: «عندما أحظى بالفرصة وهي نادرة.»

لم تستطع مقاومة حاجتها إلى الفضول فقالت: «بولت هل كنت تلعب بيسبول في المدرسة؟»

اعترف قائلاً: «وفي الكلية.»

أدهشها هذا: «صحيح! هذا يعني أنك تجيد اللعبة جيداً؟»

«في الواقع لقد كنت حسناً، في الماضي، حتى أنني كدت أكون من النابغين.»

سألته بفضول: «ماذا حدث؟»

التقت نظرته بها: «ما كان مفروضاً أن يحدث.» أضاف بإيجابية: «تخرجت من الكلية ودخلت في الكهنوت.»

«أوه.» طبعاً! يا له من سؤال سخيف. وشعرت بالحرارة تعلو وجهها.

ضحك بسهولة: «لماذا يعتقد الناس أن الكاهن هو شخص قليل الحظ لا يملك أي موهبة إطلاقاً؟»

أجابته وهي غير قادرة على النظر نحوه مجدداً: «لا أدري، ربما لأن وظيفته تبدو صعبة، وليس هناك من يشكره.»

اعترض قائلاً: «ولكن هذا غير صحيح. هل التقيت بمدير مصرف يطلب منه أن يلعب الكرة مع أي طفل؟»

ابتسمت: «لا، لا أعتقد ذلك.»

ظهر ترنت مجدداً ومعه القفازان والكرة التي حملها منه بولتن. إنتقى بولتن القفاز المهترىء وأدخل يده فيه. ثم إبتسم ابتسامة مشرقة لامعة لكلاريس وقال: «والآن، لنمرح؟»

ضحكت على الفور: «إنك أخذت فعلاً بنصيحة سكرتيرتك، أليس كذلك؟»

«طبعاً. والآن، إذا اعذرتماني، فالقفاز يتوسل لكي يستعمل.»

www.liilas.com/vb3

رفعه نحو أذن ترنت حتى يسمع الصبي توسله. قهقه ترنت، وهذا الأمر كان بعيداً تماماً عن شخصيته. فشعرت كلاريس بصدمة تعبر عن الذنب وتبعها مباشرة شعور بالإمتنان لهذا الكاهن الجذاب. تساءلت إذا كان يدري كم هي ممتنة له. إبتسامته عنت أنه فهم كلياً، ولكنها هي التي فهمت فجأة. هذا ما عناه بالضبط. لهذا فمنصب الكاهن لا يمكن أن يكون عملاً غير مشكور. هذا ما في الأمر. فهذا الكرم والطيبة هما شيئان غريبان. شعرت فجأة بانها تتلاشى، كانها لا تستطيع مجاراة هذا المستوى من الطيبة.

تمتمت وهي تستدير: «عندي بعض المهام للقيام بها.»

أجاب: «حسناً، لماذا لا نلتقي هنا بعد ساعتين؟ وعندها إذا لم يكن عندك أي شيء يمكننا أن نذهب إلى الغداء سوياً.»

هذه الدعوة غير المتوقعة جعلتها تمعن النظر فيه، ولكن تعبيره كان لطيفاً دون غاية. من الواضح أنه يحاول أن يكون لطيفاً، فهو رجل طيب. هو كاهن قبل كل شيء. وشعرت بخيبة أمل. وقالت برقة: «سوف نرى.»

لم يجب، وأسرعت كلاريس بالخروج وهي توبخ نفسها على هذه المشاعر الخاطئة. بولتن تشارلز هو رجل جيد من النوع الذي يساعد أياً كان. لماذا ترفض لطفه نحوها وخاصة انها ترحب كثيراً بلطفه نحو ابنها؟ أبعدت الأفكار المزعجة وهي تعلم أنها جبانة. هي لا تستطيع أن تستمر في رفض التفكير بالتعقيدات التي ظهرت فجأة. فبطريقة ما، عليها أن تعاود السيطرة على حياتها وحياة ابنها. ولا تستطيع أن تفعل ذلك، وهي مستمرة في طمر رأسها في الرمال. لقد اكتفت من ذلك.

إذاً ماذا عليها أن تفعل؟ تعرف أنها معجبة بالرجل كبداية. ولكنها أدركت أن اهتمامه بها هو جزء من منصبه ككاهن وليس من شيء آخر. عليها أن تقبل بذلك بالإضافة إلى هذا، عليها أن تقيس خطواتها اللاحقة. ويجب أن تقرر كيف تتعامل معه. أخذت تفكر بهذه المسألة مرات عدة وهي تأخذ الثياب إلى المصبغة، أو تتنزه، أو تصفف شعرها.

عندما حان وقت ملاقاة ابنها، كانت قد حظيت بوقت كاف وتفكير عميق. رحبت أخيراً بفرصة التعامل مع بولتن تشارلز ككاهن، ولكن المشكلة هي أن الشخص اللاهث الذي كان يركض نحو سيارتها ويرحب بها، كان رجلاً بكل معنى الكلمة.

التصق قميصه المعقود المبلل بجسده، مظهراً عضلات الكتفين والصدر البارزة الحسنة التكوين. شعره الداكن كان قد تساقط إلى الأمام في خصلات كثيفة لامعة. وضع قفازي البيسبول تحت ذراعه ليرفع شعره عن جبينه. إبتسم فوراً ابتسامة ترحيب ومودة. كان ترنتون خلفه مباشرة وهو يلهث بنفس القوة. من الواضح أنهما قد أمضيا وقتاً شاقاً مع الكرة التي كان يمسكها بولتن بيده اليمنى. ضحك بولتن عندما انزلق الصبي بسرعة، وسقط على العشب. وقال بولتن: «أعتقد أننا انجرفنا قليلاً.»

ثم أضاف: «إنه يملك ذراعاً قوية، لقد نسيت أنه صبي.»

وفجأة لوى بولتن معصمه، فقفزت الكرة من يده. رمى ترنتون نفسه إلى الوراء وذراعه مرتفعة، فاستقرت الكرة في كفه بكل سلاسة كأنه كان في انتظارها. ضحك بولتن صارخاً: «رائع.» ورفع إبهامه مؤيداً قبل أن ينظر مجدداً

www.liilas.com

إلى كلاريس قائلاً: «الصبي يملك ردات فعل جيدة، ويرمي بطريقة جيدة. أعتقد أنني حظيت برياضي جيد، ويجب أن تدخليه في النادي الرياضي للصغار.»

أجابت باندفاع: «حسناً إنه مصارع.» ولكنها ندمت على نبرتها على الفور.

بدا أنه لم ينتبه فقال: «نعم، أعلم ذلك، وقد كان ناجحاً جداً في ذلك. وأعتقد أن في إمكانه أن يكون بنفس النجاح في أية رياضة. بيسبول، كرة قدم، ويمكن ان يمارس كرة السلة، ليست لعبتي، في أي حال سوف أقلّب الأمر وأجد ما هو متوافر إذا أردت.»

لسبب ما، الفكرة اشعرتها بشيء من الذعر وقالت: «آه، لا، أعني لا نريد أن نزعجك، وهذا أكثر من إزعاج.»

ابتسم ابتسامة اعتراض وقال: «لا تكوني سخيفة. إني العب بيسبول.»

على هذه الكلمة صرخ ترنتون: «بيسبول.» ورمى بالكرة عالياً. إندفع بولتن للحركة وأخذ يعدو بسرعة عبر المتنزّه ليلتقط الكرة من الوراء ويداه عاريتان. فقفازاه كانا مرميين على الإسفلت تحت قدمي كلاريس حيث سقطت عندما أسرع لإلتقاط الكرة. كلاريس لم تعرف ما هو الذي لا يصدق أكثر، نظرة الرضى التي كانت على وجه بولتن وهو يلتقط الكرة، أم القوة التي استعملها ابنها؟ ولم تنتبه لصرخة الندم التي اطلقها ترنتون عندما اصطدمت الكرة بيدي بولتن. فقط، عندما أسرع الصبي أمامها نحو بولتن، لاحظت أن هناك شيئاً غير صحيح. صرخ ترنت: «يداك. إنني آسف، إنني آسف.»

كان تعبير وجه بولتن هادئاً. انحنى ليضم الصبي بين يديه: «هيا، أيها الصديق، ماذا؟ إنك لم تؤذني.» ولكن حتى كلاريس كانت تستطيع أن ترى أن عيني ابنها، كانتا ممتلئتين بالرعب. استفاقت من ذهولها وتحركت إلى الأمام وهي تكبت الرغبة في الركض.

دحرج بولتن الكرة وحملها بين أصابعه ليريها لترنت، وهو يقول: «إنني بخير. على أي حال إنه ليس خطأك. لم يجبرني أحد على الركض خلف الكرة. كنت أعلم ماذا أفعل. لم أكن لأذهب خلفها إذا لم أشعر أنني أستطيع أن ألتقطها بسلام. انظر، سوف أريك.» دفع الكرة إلى يدي ترنت المرتجفتين وأدار كفه إلى الأعلى ويده الأخرى كانت ملتفة بعطف حول خصر الصبي. وحرك أصابعه: «أنظر.» رمى ترنتون نفسه بارتياح حول كتف بولتن. دق قلبها بسرعة عندما رأت بولتن يضمه باطمئنان. تباطأت خطواتها، ووقفت فجأة. من الواضح أن بولتن كان يسيطر على الوضع. شعرت فجأة أنها متطفلة. بدا أن بولتن لاحظ شعورها فنظر نحوها مبتسماً. إبتسامته كانت تحمل الطمأنينة نفسها التي حملها عناقه. بلعت ريقها. غير بولتن يده ليساعد الطفل، مشى نحوها حاملاً الصبي على كتفه. كانت ذراعا ترنتون حول عنقه. وكان بولتن يحدثه برقة وهو يقترب. هز ترنتون رأسه، ثم رفعه وهو يبتسم لأمه.

أعلن بولتن: «إننا جاهزان للغداء، ونريد أن ناكل الهمبرغر.»

أضاف ترنتون بفرح: «مع بطاطا مقلية.»

بلعت كلاريس ريقها: «حسنـ... حسناً.»

www.liilas.com/vb3

إندفع بولتن نحو السيارة. لقد كانت سيارة ببابين، بيضاء مكشوفة السقف، الجزء الداخلي بلون أحمر. ظناً منها بأن السيارة قد لا تليق به، عضت شفتها، متسائلة بماذا سيفكر عند رؤيته لها، فأسرعت إلى جانبه وهو يتوجه نحوها.

قالت: «يمكن أن تأخذ سيارتك إذا أردت.»

نفى قائلاً: «لا، يمكنك أنت القيادة، فأنا متعب.»

«حسناً.» لم تستطع إلا الملاحظة انه لا يبدو تعباً. يبدو أنه يستطيع أن يحمل ترنتون إلى المدينة ويعود به من دون أن ينضح قطرة عرق.

اتجه نحو السيارة، فتح الباب، وسحب المقعد إلى الأمام ودفع ترنتون قليلاً إلى المقعد الخلفي، بمعنى أن المقعد الأمامي، له. إنزلق في مكانه وثبت نفسه. دخلت كلاريس وفعلت نفس الشيء، وعدلت مقعدها وأدارت المحرك.

قالت: «أتصور أنك ستحب أن تدير المكيف.»

وضع يده حول مقعدها وضحك: «في الواقع، أفضل لو رفع الغطاء.»

ردد ترنتون: «أجل، ماما، ارفعي الغطاء.»

كان يحب أن يركب السيارة وهي مكشوفة. ولكن كلاريس لم يكن يناسبها ذلك. فتحت فمها لتقول انها عادت لتوها من عند المزين، ولا تريد أن يفسد شعرها. عندها انحنى بولتن ودندن بكآبة: «هيا، يا ماما، بعض الهواء والشمس لا يضر أحداً.» أقفلت فمها ومدت يدها لتدير مقبض الغطاء، ومن ثم ضغطت على الزر الأوتوماتيكي الذي رفع السقف. هتف ترنتون، وضحك بولتن ووجدت نفسها تبتسم.

«حسناً أيها الشبان إلى أين تريدان الذهاب لأكل الهمبرغر؟»

قدّم ترنتون إقتراحاً، ولكن بولتن رفضه بسرعة مذكراً الصبي بمطعم آخر إلى جانب ملعب. قال ترنتون: «آه.» كأنه لم يأخذ ذلك بعين الإعتبار سابقاً. شعرت كلاريس بشيء من الذنب. إنها لم تنتبه إلى ذلك من قبل أيضاً. ماذا كان بها؟ ليس عجباً أن لا يعرف ابنها كيف يكون طفلاً. انعطفت بالسيارة واتجهت نحو المكان ذي الملعب.

لم يستطيعوا أن يسيروا بسرعة في المدينة وسط الإشارات والإضواء والمحلات وغيرها. برغم ذلك، فالهواء كان رائعاً على وجهها وفي شعرها. والآخران كانا متمتعين أيضاً بضحكاتهم وابتساماتهم. قامت بانعطاف نحو اليمين إلى جسر ٨١ وأصبح السير أبطأ. يبدو أن كل سكان المنطقة اتوا إلى البلدة في هذا اليوم.

هز بولتن رأسه: «السير هنا سيىء كما هو في المدن الكبرى. ألا تعتقدين ذلك؟»

هزت كلاريس كتفيها، ونظرت في مرآتها الخلفية: «إنني لا أعرف بصراحة. آخر مرة كنت في مدينة كبيرة، كان منذ ست أو سبع سنوات. كانت المرة الأولى التي تركنا فيها ترنتون يمضي الليل بدوننا. كان والده مشغولاً في تولزا فذهبت معه. كانت حماتي على قيد الحياة، وهي من اعتنى بترنتون خلال غيابنا. كان لا يزال صغيراً ورضيعاً.» لاحظت بطرف عينها أن بولتن كان يتأملها، ولكنه لم يقل شيئاً. ولم تستطع أن تتخيل بماذا كان يفكر. صرفت التفكير بهذه المسألة، وركزت على القيادة.

www.liilas.com.ye

وصلوا إلى المكان الذي اقترحه بولتن. أوقفت كلاريس سيارتها، ونظرت إلى المرآة لترى كيف عبث الهواء بشعرها. قالت: «إذهبا أنتما الأثنان، وسوف ألحق بكما بعد دقيقة.» ولكن لم يتحرك أحد. توقفت عن تسريح شعرها بيدها ونظرت حولها. بولتن كان يراقبها، وكان ترنتون يراقب بولتن. لم تستطع أن تفهم أياً من التعبيرين. سألت: «ماذا؟» ونظرها ينتقل بينهما.

رفع بولتن كتفه: «لا شيء، ولكننا نفضل أن ننتظر. لن ياخذ هذا وقتاً طويلاً. فأنت تبدين رائعة.»

فتحت فمها مندهشة. اعتقد أنها تبدو رائعة؟ الفكرة حركت شيئاً غريباً وغير مألوف في داخلها، وألقت نظرة متوترة نحو ابنها. ترنتون كان ينظر إلى سترته، وهو يبتسم. لم ترد أن تفكر حتى في ما يعنيه ذلك. ما كانت تريد فعله هو الركض. أعادت المرآة إلى مكانها، وتلعثمت وهي تفتح الباب وقالت: «آه، إنني، إنني جاهزة.» قفزت من السيارة وركضت نحو المطعم ووقع قدميها يُسمع على الرصيف. لحق بها بولتن وترنتون وسبقاها. عندما وصلت كان بولتن يفتح الباب لها ووجه ترنتون هادىء غير مبالٍ. مشت أمامهما واندفعت إلى المطعم ووجهها يتقد احمراراً. كانت تريد أن تصفع الناس وتدفعهم بعيداً عن طريقها. ما خطبها؟

وقفت في الصف أمام المحاسب، وأخذت نفساً عميقاً لتهدىء خفقان قلبها. إنه ليس الأول الذي تحصل منه على إطراء. إلى جانب ذلك، لم يعن شيئاً بذلك. أراد أن يستعجلها. ولأنه رجل محترم، لم يكن يريدها أن تبقى وحدها في

السيارة. وترنتون؟ كان مرتبكاً. نعم. فقط مرتبك. ترنتون مرتبك و... هي كانت مرتبكة. هذه هي المشكلة. ويا له من تصريح شاف في حالتها العقلية. وهذا بدون أن نذكر حياتها العاطفية. يا للهول! إنها تحلم برجل دين.

عندما وصل الكاهن إلى الصف وراءها، وضع يداً ودودة على كتفها.

كادت أن تقفز. قال بهدوء: «إهدئي، لا أحد يريد أن يؤذيك.»

«أعلم ذلك ولكنك أخفتني.»

«أردت أن أقول لك ان الغداء على حسابي.»

«أوه، لا، لا أستطيع...»

«أنا أصر.»

«لا، حقيقة...»

شد يديه باحكام على كتفيها وقال برقة ناعمة: «كلاريس، أصمتي، واذهبي وابحثي لنا عن مائدة.»

لم يترك لها مجالاً للشك بانه يعني ما يقول. وكانت مسرورة لتذهب. وأسرعت بالذهاب، ولكنه أمسك بيدها وأدارها نحوه.

«نسيت أن أسألك، ماذا تريدين أن تاكلي؟»

سحبت يدها ولوحت بها في الهواء: «آه...» نظرت بيأس على لائحة الطعام وبدون أن ترى شيئاً في الحقيقة قالت: «سلطة! سلطة ستكون جيدة وشاي. شاي مثلج.»

أخذت نفساً كانها ارتاحت، واستدارت ثم مضت. لم تنتبه للنظرة المربكة التي لاحقتها أو لنظرة التأمل التي وجهها ابنها نحو بولتن تشارلز.

www.liilas.com

عندما عادا مع أطباق الطعام، كانت كلاريس قد استعادت حالتها النفسية الهادئة. ومرة أخرى عادت متوترة في اللحظة التي ابتسم بولتن لها، وبدا غافلاً عن الذعر الذي يسببه لها. وضع الشاي والسلطة أمامها، ثم وضع محرمة وشوكة، وانزلق إلى المقعد المحاذي لترنت. ثم وضع الطعام أمام كل منهما. اقتربت كلاريس وهي تشعر بالسخافة والإهمال عندما وضع بولتن المحرمة على سترة ابنها.

بدأ ترنتون الطعام بشهية واضحة. لاحظ بولتن عدم شهيتها، فانحنى نحوها متسائلاً: «هل هناك شيء ما في السلطة؟»

«ماذا؟ لا، لا شيء.» ثم التقطت شوكتها وبدأت تبحث بين الخس المقطع.

قال ترنت: «إنك لا تهتمين بمرقة السلطة، لكن ربما أنت تريدين بعض الحامض أو أي شيء آخر.»

«حامض؟»

التقت نظرتهما لفترة، وقال بولتن: «بعض الناس يفضلون أن يأكلوا سلطتهم مع عصير الحامض حتى لا يأكلوها جافة.» ثم أضاف كأنه يتكلم مع طفلة: «هل تريدين أن أحضر لك بعض الحامض؟»

هزت رأسها بالنفي، وأعادت نظرتها نحو غدائها، واستطاعت أن تقول: «لا، شكراً.»

بعد ذلك، ركزت على الطعام، فأخذت تنتقي الخس والجزر لتمضغها ثم تبتلعها. الشرائح الصغيرة من البندورة كانت تتطلب اهتماماً خاصاً. وبينما كانت تحاول إنهاء

غداءها... أعلن ترنتون أنه يريد الذهاب إلى الملعب. نهض بولتن وأخرجه من الحجرة الصغيرة، ثم عاد ليجلس مجدداً. وقفت كلاريس بسرعة على قدميها، مصرةً على التذرع بابنها لتهرب، ولكن يد بولتن أمسكت بها ومنعتها.

قال بلطف: «سوف يكون بخير، اجلسي. أريد أن أتكلم معك!»

نظرت مطولاً وراء ابنها: «اللائحة تقول أنه يجب أن تكون هناك مراقبة من قبل الراشدين.»

ألقى نظرة مستعجلة من وراء كتفيه وقال: «هناك ما يكفي من الراشدين.»

غرقت ببطء في مقعدها. دفع بولتن حبات البطاطا إلى فمه ومضغها ثم بلعها قائلاً: «كنت منتظراً لأسألك لماذا لم أرك يوماً في الكنيسة. هل تحضرين في مكان آخر؟»

الكنيسة، كادت تفقد الراحة. الكنيسة كانت فعلاً موضوعاً لطيفاً وآمناً ليناقش مع كاهن. تمالكت نفسها قائلة: «لا، نحن لا نحضر في مكان آخر. إنه وليز. لا يحب أن يخرج طالما أنه يجلس على كرسي للمقعدين. نحن نقوم بقداس خاص بنا نهار الأحد صباحاً. وليز يختار مقاطع معينة، أقرأها أنها بصوت عالٍ، وأجيب عن أسئلة ترنتون.»

«هو يسأل كثيراً، أليس كذلك؟»

«أكثر وأكثر كلما كبر في العمر.»

«ألا تعتقدين أنه سوف يستفيد أكثر من دراسة منتظمة لكتاب الدين؟»

«نعم. انني أكيدة من ذلك.»

«والآن. ماذا عنك؟»

www.liilas.com/vb3

حركت رموش عينيها وقالت: «أنا؟»

وضع يديه على الطاولة. إنهما يدان كبيرتان مع كفين واسعتين وأصابع طويلة ورشيقة منتهية بأظافره السليمة البيضاوية الشكل.

قال: «عندنا دورة تثقيفية للنساء في عمرك. إنها مجموعة ودودة. انني متأكد من أنك سوف تحبينهن.»

«أنا متأكدة من انني سأفعل.»

اشار قائلاً: «لن يكون عليك أن تمتنعي عن مراسيم وليز الخاصة. يمكنك دائماً أن تقومي بالإثنين معاً.»

قالت: «لا أدري. علي أن أتحدث مع وليز.»

رفع حاجبيه قائلاً: «حقاً؟! لقد كنت تحت انطباع بأنك أنت من يقرر أمور حياتك.»

«انني أفعل ذلك.»

«اذاً ما المشكلة؟»

«ليس هناك مشكلة، لكني لا أريد أن أفتعل واحدة.»

نظر الى الأسفل، ثم مسح فمه بالمحرمة وأزاحها: «اذا كنت لا تريدين المجيء، فقط قولي ذلك.»

«ليس هذا!»

رمقها بعين ثاقبة ومحدقة وقال: «إذاً ما الأمر؟»

لم تعد تستطيع أن تتنفس، بدون أن تذكر الإجابة بجواب منطقي. جلست هناك بفمها المفتوح كسمكة خارج المياه.

ضحك لارتباكها الكلي، وغيّر الموضوع قائلاً: «يعجبني شعرك. انه مقصوص جيداً. شعري بحاجة إلى اسبوعين أو ثلاثة ليصبح كما هو مطلوب.»

استطاعت أن تتمتم: «ربما أنك بحاجة لتغير الحلاق.»

كانت تشعر بالإطراء ولكنها مصدومة لكونه لاحظ ذلك.

ضحك: «وأتنكر لأحد أعضاء الأبرشية المخلصين؟»

اعترضت: «هذا غريب.»

هز كتفيه: «انه من ضمن عملي. هناك أشياء أسوأ من قصة شعر رديئة.»

لم تعرف ماذا تقول. لذلك لم تقل شيئاً عن ذلك، أخذت تراقب ترنتون من النافذة. كان يزحف عبر حبل مربوط بين برميلين بشكل جسر وهو على علو ثلاثة أقدام عن الأرض.

ولدان آخران كانا يركضان حوله بمسدسات للعب، ويتوهمان أنهما يطلقان النار على بعضهما. توقف ترانتون ليراقب، أطلقا النار عبره، فتجاهلاه كأنه غير موجود. حتى عن بعد، استطاعت أن ترى نظرة الشوق في عيني ابنها. عضت على شفتها. لماذا سمحت بأن يحصل هذا؟ أرادت أن تبكي. لاحظ بولتن ذلك، فالقى نظرة نحو الصبي. فكّر بالموقف قليلاً، ثم استدار نحوها، وأمسك بيدها وقال: «سوف يكون بخير.» وضع يدها في يده وأضاف: «انه صبي رائع، يا كلاريس، صبي متفوق، ذكي، حساس. ومهتم. يحتاج للتمرين قليلاً مع الأطفال. وهذا سبب آخر لطلبي ادخاله في النادي الرياضي للأطفال. ولن يضره شيء اذا تردد على دروس الدين صباح كل أحد. سوف أفسح له المجال. هذا اذا سمحت.»

كان هذا بمثابة سؤال أكثر منه تصريح. أخذت قراراً فورياً، وهي تخبر نفسها أن لا علاقة للحرارة المنتشرة صعوداً في ذراعها بهذا. وقالت: «نعم، أرجوك.»

ابتسم وضغط على يدها بقوة: «سوف أتصل بأستاذة

www.liilas.com/vb3

صف الأحد، وأخبرها بأن تنتظره. سوف تعرّفه على الأطفال، وتتأكد من انضمامه إلى نشاطات جماعية. وسوف أرى ما أستطيع فعله بخصوص الرياضة. قد نكون تأخرنا لإدخاله في فريق البيسبول لهذا الفصل. وإنه لوقت مبكر جداً لكرة القدم. ماذا عن السباحة؟ هل تعلّم ترنت السباحة؟»

أومأت: «اصررت، فعندنا حوض.»

قال: «دعيني أخمّن. دروس خصوصية.»

أجفلت: «كيف عرفت؟»

«هل يسمح وليز ريفير بأن يرسل حفيده إلى المسبح العمومي؟»

تنهدت: «لا، ولكن كان عليّ أن أصر.» أنزلت نظرتها وسحبت يدها من يده بانتباه. عندها لاحظت الجرح في يده صرخت: «بولتن!» حاول أن يغلق يده، ولكنها أمسكت بمعصمه، وفتحت أصابعه. وسط كفه اليسرى وليس اليمنى التي أراها لترنتون، كانت متورمة. قالت: «انك مصاب.»

أجابها: «انه خدش بسيط.»

«يدك مكسورة! يا لحماقة ترنت...»

قال: «انها ليست مكسورة.» وثنى أصابعه ليبرهن ذلك. «هل رأيت؟ انها حتى لا تؤلمني. ولا أريد أن يعتقد ترنت أن هذا خطأه. انها ليست المرة الأولى التي أقوم بهذا العمل الأحمق. أعرف ذلك، ولكني قمت به على كل حال. ولكن اذا شاهد ترنت وعلم بالجرح سوف يلوم نفسه، لذلك لا أريد أي كلمة، هل سمعتني؟»

هزت رأسها وهي متأسفة فعلاً، وممتنة لأن الدموع تجمعت في عينيها.

ضحك بولتن، وبلطف مرّر باصبعه على خدها. وقال وهو يمازحها: «الآن. عرفت من أين له هذا الشعور بالذنب.»

وأضاف بصوت ناعم: «وأيضاً جماله.»

فغرت فاها مندهشة. هز رأسه ثم ربت على يدها بلطف. أقفلت فمها في اللحظة التي وصل فيها ترنتون الى المائدة. قام بولتن لتغيير الموضوع بطريقة لبقة. وسأل الصبي: «هل أنت مستعد للذهاب؟»

هز ترنت رأسه موافقاً. جمع بولتن بقايا طعامهم على المائدة، وأخذها ترنت ليرميها في سلة المهملات. استدار بولتن ليلحق به، ولكن كلاريس أمسكت بيده قبل أن يذهب. قالت: «شكراً للغداء، ول...»

لم تستطع التفكير كيف تنهي الجملة بدون أن تحرج نفسها أكثر. ابتسم لها ولوّح بيده قائلاً: «على الرحب والسعة.» ثم قادها الى الخارج خلف ابنها.

www.liilas.com/vb3

الفصل الثالث

«ما الأمر، أيها الصديق؟»

هز ترنتون كتفه، ثم رأسه فقال: «لا شيء.»

كم يشبه الصبي امه. فكر بولتن وهو يحدق من خلال الشجرة أمامه. تساءل إذا كانت تعلم كم يشبهها ترنتون. أخذ يربت على كتف الصبي، أخيراً رفع ترنت نظره إلى الأعلى.

«هل كنت تعرف والدي؟»

اتكأ بولتن على المقعد القاسي: «لا. لماذا تسأل؟» اجابه مجدداً بهزة من كتفه.

«كنت أتساءل فقط. اعتقدت أنك تعرفه، وبالتالي تعرف ماذا أحب... ربما لهذا أنا أحبك كثيراً. أعني، ربما تذكرتك في الأيام السابقة، لا أعرف. هذا غباء أليس كذلك؟»

«هذا ليس غباء مطلقاً. فالأصدقاء الحميمون حتى لو أنهم أصدقاء جدد، غالباً ما يشعرون بأنهم كانوا يعرفون بعضهم بعضاً طوال حياتهم.»

«لكن لماذا يحصل ذلك؟»

ضم بولتن يديه: «لست متأكداً. ربما لأنهم يملكون أشياء مماثلة ومشتركة.» لوى ترنت وجهه وسأل: «ما معنى ذلك؟»

تنهد بولتن. لعله لا يجيد شرح ذلك. بسط يديه وحاول مجدداً. «حسناً، لناخذ أنفسنا، أنا وأنت كمثل. كلانا يحب الرياضة، فهذا شيء مشترك بيننا.»

أشرق وجه ترنت، وقال بحماس: «والهمبرغر والبطاطا.»

«ماذا؟»

أجابه: «كلانا يحب الهمبرغر والبطاطا المقلية.»

ضحك بولتن: «صحيح، هذا شيء آخر مشترك بيننا.»

تابع ترنت بحماس: «والحليب بالشوكولاتة، والقيادة في سيارة مكشوفة، والأزرق، لوننا المفضل الأزرق! آه وجنرال! لا تنس جنرال توم.»

ضحك بولتن بفرح شديد: «كيف لي أن انسى ذلك القط العجوز. وهل تعرف ماذا أيضاً؟ هناك العربة الحمراء أيضاً.»

«نعم، كانت عندك واحدة وأنت صبي.»

«طبعاً. ولكن في الأمر أكثر من ذلك يا ترنت. أنا وأنت نفكر بنفس الطريقة. حتى اننا نشعر بنفس الشيء أحياناً.»

بدا الصبي مهتماً فسأل: «ماذا تعني؟»

«حسناً، في بعض الأحيان تذكرني بطفولتي. مثلاً أنت تخجل عندما تكون مع اشخاص لا تعرفهم. فأنت لا تعرف ماذا تقول، أو ماذا تفعل لكي يحبوك. لم تتعلم بعد أن أفضل ما تفعله هو أن تكون كما أنت. لقد كنت مثلك تماماً عندما كنت في الثامنة من عمري.»

«أكنت هكذا؟» كانت عينا ترنت متسعتين وصوته كله دهشة.

ضحك بولتن ضحكة خفيفة: «نعم، كنت هكذا، وفي المرة التالية عندما ترتبك، وتتمنى أن تختفي، تذكر ما قلته لك.»

www.liilas.com/vb3

فتح ترنت فمه مندهشاً: «هذا ما يحدث! تخاف أن تقول شيئاً تافهاً، فتتمنى أن تختفي.»

أضاف بولتن: «هذا تحسن، وكلما حاولت أن تتصرف كما أنت، فالتحسن يكون أسرع. تذكر ذلك. موافق؟»

هز ترنت رأسه بوقار: «سوف أتذكر ذلك.»

ربت بولتن على كتفه بحنان، ثم نظر إلى ساعته: «حان موعد عودتنا على ما أعتقد.»

نهضا وسارا ببطء فوق العشب إلى السيارة. لاحظ بولتن أنه عندما وضع يده في جيب سرواله، قام ترنت بنفس الحركة. تساءل إذا كان الناس في الحديقة يظنون أنهما أب وطفله. رفع ترنت رأسه ونظر إليه.

«هيه، بولت؟»

هذه الكنية تشعره بالضحك، ولكنه كان يفعل ما في وسعه ليخفي ذلك عن ترنت.

سأله ترنت فجأة: «هل تعتقد أنك كنت ستحب والدي؟»

يا له من سؤال. هل كان سيحب ابن وليز ريفير الوحيد، الإبن الذي حاول وليز بكل تصميم أن يجعله نسخة عنه؟ ازدرد ريقه قليلاً قبل أن يجيب: «كنت سأفعل إذا كان يشبهك.»

قال ترنت: «هذا ما اعتقدته، جدي يقول انني أشبهه.»

«آه؟» لقد كان لبولتن شكوك خاصة به، وفضل الإحتفاظ بذلك لنفسه.

تابع ترنت: «أنت وهو تملكان أشياء.»

صحح بولتن خطأه بخفة: «مشتركة.»

تابع ترنت: «مشتركة مثل أمي.»

توقف بولتن ونظر إلى الأسفل نحو الصبي: «لا أعتقد أنني فهمتك.»

ضاقت عينا ترنت: «حسناً، إنها تعجبك أليس كذلك؟»

أدرك بولتن المراوغة، ولكنه فضل تجاهلها: «نعم، كثيراً.»

«حسناً وهو أحبها أيضاً، أليس كذلك؟ فقد تزوجا.»

تمتم بولتن: «لقد فهمت قصدك الآن.»

ثم أكمل طريقه نحو السيارة. كان عنده شعور ربما سيظهره لاحقاً.

سأله ترنت: «أهي تعجبك لهذه الدرجة؟»

أجاب بولتن وهو يمشي بخطوات واسعة: «تعني لدرجة أن اتزوجها؟»

«أجل.»

«ترنت لا أعرف، لم أحظ بالفرصة للتفكير، ولمعرفة ذلك. فهي تتحاشى مقابلتي.»

«نعم، لماذا؟»

«لا أدري، ربما لا تحبني كما أحبها.»

أصر ترنت: «هذا غير صحيح. هل تعرف لماذا؟ اعتقد أنك تخجلها.»

ابتسم بولتن: «يمكن أن تكون على حق. ماذا تعتقد أن عليّ أن أفعل؟»

«لا أدري. ربما كل مافعله أبي قبلك.»

ترك بولتن يده تهبط على كتف الصبي: «هذه نصيحة جيدة.» مشيا بصمت لبضع دقائق ثم سأله ترنت: «هل تعطي عادة نصائح جيدة ومفيدة، يا بولت؟»

www.liilas.com/vb3

«أحياناً أفعل.»

«هذا شيء مشترك آخر بيننا، اليس كذلك؟»

ضحك بولتن، ووضع يده في جيبه ليبحث عن مفاتيحه. أضاف ترنت: «وهذا ليس آخر شيء مشترك بيننا، أنا متأكد!»

أحنى بولتن رأسه: «أعتقد ذلك أيضاً.»

أراد بولتن أن يضمه إليه، ولكنه لم يجرؤ. بدل ذلك، فتح باب السيارة ليصعد إلى المقعد ويضع الحزام. كان ترنت يحب أن يضع حزام الأمان بنفسه، برغم أن هذا صعب بعض الشيء لأنه معقد قليلاً. أدار بولتن السيارة قبل أن يحكم ترنت الحزام. ولكن أخيراً أصبح كل شيء جاهز. وانطلق بولتن نحو المنزل.

كان ترنت هادئاً طوال الطريق. مما أعطى بولتن فرصة لكي يفكر بالمحادثة التي دارت بينهما. شعر بولتن بأن الصبي يفكر في شيء ما. لذلك لم يفاجأ عندما تكلم ترنت عند وصولهما إلى باب المزرعة.

«بولتن، إنني لا أتذكر أبي.»

من الواضح أن ترنت كان يمر في لحظة ضياع. لذلك فكر بولتن قليلاً قبل أن يجيبه. أوقف السيارة في الساحة الأمامية للبيت، ومن ثم استدار نحو الصبي وقال:

«أعرف ماذا تعني، يا ترنت. النسيان طبيعي بعد الموت. لقد توفيت زوجتي منذ سنتين. أحياناً أحزن لأنني لا أتذكر تفاصيل صغيرة عنها مثل مقاس قدمها، أو إذا كانت تحب فيلماً معيناً.»

قال ترنت: «لكني لا أتذكر أبي أبداً. جدي يقول ان علي ألا أنساه. وهذا يجعلني أشعر بأنني سيىء.»

«حسناً، يا ترنت يجب أن لا تشعر بالسوء. لقد كنت في... ماذا؟... الثالثة عندما توفي؟ لا أحد يمكنه أن يتوقع منك أن تتذكره. ما يريده جدك هو أن تتذكر دائماً من هو والدك، وأنه كان يحبك، ولكان أحبك اليوم أيضاً لو بقي حياً.»

«هل تعتقد ذلك؟»

«نعم.»

بدا على الصبي التفكير. فهاتان العينان كانتا عميقتين حائرتين. عندما نظر نحو بولتن مجدداً كان يعض على شفته: «هل تعتقد أن أبي كان سيعارض حبي لك؟»

وصلا أخيراً إلى صلب الموضوع. وضع بولتن يده على كتف الصبي: «ربما لو كان لا يزال حياً. الأباء يفضلون أن يكونوا هم الأصدقاء المفضلون لأولادهم. من جهة أخرى، أعتقد أنه لو علم مسبقاً أنه لن يكون هنا، لأراد أن يكون معك صديق مثلي. أعلم ذلك بكل تاكيد يا ترنت. يجب ألا تشعر بأنك تخون ذكرى والدك عندما تحبني.»

فكر بينه وبين نفسه: «حتى أمك لا يجب أن تشعر بذلك.»

هز ترنت رأسه ليظهر فهمه للموضوع. حركة استدعت انتباهه، فاستدار ليرى أن الباب كان مفتوحاً، وأن كلاريس كانت تقف هناك.

خرجا من السيارة، ومشيا جنباً إلى جنب نحو الباب.

قالت كلاريس بخفة: «اعتقدت أنني سمعت أحداً في الخارج.»

انحنت لتطبع قبله على رأس ابنها: «هل أمضيت وقتاً ممتعاً؟»

«طبعاً.»

www.liilas.com/vb3

«رائع. شكراً، يا بولتن. لا نريد أن نأخذ من وقتك أكثر من هذا.»

تجاهل بولتن الدعوة العلنيه للرحيل. وقال لترنت: «لماذا لا تذهب الآن؟ أريد أن أتحدث مع والدتك.»

وافق ترنت ودخل إلى البيت مغلقاً الباب وراءه. إنه صبي نكي. وضع بولتن رجله على العتبة، وألقى نظرة على كلاريس. لقد كانت متصلبة كلوح من شدة التوتر. ابتسم قائلاً:

«ابنك وأنا تحدثنا بجدية اليوم.»

«أوه؟»

«نعم، لقد تحدثنا عن والده وأشياء أخرى.»

بدت مصدومة. «إنك تمزح! ترنتون لا يتكلم عن والده أبداً.»

«لقد تكلم اليوم.»

«لماذا تكلم معك أنت؟ لماذا لم يتكلم معي؟»

لوى بولتن فمه: «ربما شعر بأن التحدث عن هذا الموضوع لا يزعجني.»

أجابت بمرارة: «أما أنا فكنت انزعجت.»

استنتجت بشكل منطقي. وأضافت: «لقد اقترفت اخطاء عديدة مع هذا الصبي.»

نفى بولتن ذلك: «إنه صبي رائع. في حال لم تلاحظي، ان الأطفال الرائعون لا يولدون كذلك.»

ابتسمت له. عيناها، لمعتا بشعاع ذهبي دافيء: «لقد كان ذلك لطيفاً منك.»

«إنها الحقيقة. ولكن إذا كنت تعتقدين أنني لطيف، ربما أجبتني عن سؤالي.»

حاول التفكير بالطريقة الأفضل لقول ما يريد قوله. حسناً لقد كان هناك طريقة واحدة: «انظري، لا تريدين أن تأتي مع ترنت ومعي، لا تريدين أن تذهبي إلى الكنيسة. حتى أنك لا تتوقفين وتتكلمين معي إلا إذا عرضت قضية فدرالية. لذلك ما أريد أن أعرفه، هو كيف استطاع زوجك أن يفعل ذلك؟ حملك على أن تليني، أعني قبل أن يصبح زوجك.»

النظرة التي كانت على وجهها تحمل الكثير من الشك.

«لا تنظري إليّ هكذا. إنني أتبع نصيحة جيدة.»

تساءلت وهي تكاد تختنق: «ترنت؟»

«كما يقولون، من فم الأطفال تؤخذ الأسرار. إذاً كيف فعل والد ترنت ذلك؟ إني جدي، أريد أن أعرف فعلاً.»

«هو... هو» ارتعشت يداها بضعف: «لا أعرف، استطاع ذلك، فهو لجوج. آل ريفير يمكنهم أن يكونوا ملحاحين.»

ابتسم بولتن: «آه.»

تابعت: «بالإضافة إلى ذلك لقد كنت حساسة جداً. بعد تخرجي من المدرسة، قتل والدي في حادث سيارة، ولم يكن عندي أي مكان لأذهب إليه أو أي واحد ألجأ إليه.»

قال بلطف: «متأسف، ولكن هذا يفسر الكثير.»

«مثل ماذا؟»

«مثل، كيف أن امرأة رائعة مثلك، انتهى بها الأمر وتزوجت الوريث الوحيد لوليز ريفير.»

حدقت به بعينين ثاقبتين وقالت: «يجب ألا تقول هذا أبداً!»

«لِمَ لا؟»

«لأنك لا تعرفه جيداً، ولا تعرفني أيضاً.»

www.liilas.com/vb3

«أريد أن أعرفك. أما بالنسبة له فاتوقع أن يكون مثل وليز ريفير، أليس كذلك؟»

حركت فمها قبل أن تقول: «في كثير من الأمور.»

«اعتقدت ذلك.»

تجاهلت هذا التعليق وسألته: «هل فعلاً طلب منك ترنت أن تسألني؟»

ضحك: «ليس تماماً. تحدثنا عن الأشياء المشتركة، وكيف أنها تشكل أساساً للصداقة، وقد تصور أننا، أنا ووالده، نملك أشياء مشتركة. الشيء الوحيد الذي كان متأكداً من أنه مشترك هو أنتِ.»

سألت بصوت حاد: «أنا؟»

«هذا منطقي جداً. الرجل الذي كان معجباً بك، طبعاً كان زوجك، صح؟»

لم تجب، ولكنها طوت يديها قائلة: «تابع.»

«من الواضح، أنني معجب بك. حتى طفل الثامنة يلاحظ هذا أيضاً. من الواضح أنك كنت تتجنبينني كأنني طاعون. لقد قال ترنت انني اخجلك، وعندما سألته ماذا يجب أن أفعل، قال انه يجب ان أفعل ما قد فعله والده. لذلك أريد أن أعرف، فهمت؟ هذا منطقي جداً.»

حدقت فيه: «هذا أسخف شيء سمعته في حياتي.»

قال بعقلانية: «لا، غير صحيح. إنك منزعجة لأنك أخبرتني سابقاً أنك فهمت لماذا أريد أن أعرف عن زوجك.»

«إنني منزعجة لأنك كنت تتحدث عن تفاصيل شخصية جداً، حتى حميمة في حياتي مع إبني.»

كان يهز برأسه قبل أن تنتهي من كلامها: «غير صحيح

للمرة الثانية، ترنت لا يعرف تفاصيل حميمة في حياتك. ولو كان يعرف لما سألتك الآن، صحيح؟»

«هذا ليس الموضوع.»

«صحيح، الموضوع هو أنني معجب بقدر ما أنت معجبة بي، وهذا يوترك جداً جداً، أليس كذلك؟»

صرخت غاضبة: «لا وجود لهذا الأمر!»

صدر منه صوت مرح: «لا بد أن هذا صعب، ها أنت الآن تحاولين أن تبدئي حياتك من جديد، فجأة تظهر قطعة لا تنسجم مع الموضوع. كاهن طويل يصر على ان يراك امرأة كاملة، وليس اماً لطفل صغير. حسناً، هذه القطعة سوف تلاحقك دائماً، أيتها السيدة حتى تجد مكاناً ملائماً لها، ولو كانت آخر قطعة في هذا اللغز. اعتمدي وراهني على ذلك.»

نكّرته: «لقد طلب منك أن تساعد ابني وليس أنا.»

أجاب بسرعة: «أحياناً نحصل على أكثر مما نتمنى، وعندما يحصل ذلك يجب أن نتأقلم معه.»

«هذا رأيك أنت!»

«هذه هي الحقيقة.»

أجابت بحدة: «الحقيقة بالنسبة لبولتن تشارلز. هل تغيّر الحقائق كما يناسبك على منبر الوعظ أيضاً؟»

صك على اسنانه: «أعتقد ان علي الذهاب الآن، طالما أنا مسيطر على أعصابي.» استدار ليذهب: «إلى اللقاء، يا كلاريس. إنني ذاهب الآن.» وفي اللحظة الأخيرة، رفع رأسه فجأة وقال: «ولكنني سأعود.»

استدارت بسرعة وصفقت الباب وراءها. إرتعش من الصوت. آه! إذا كانت المثابرة هي المفتاح، فهذا الباب سوف

www.liilas.com/vb3

يفتح مجدداً بوجهه. وتساءل ماذا لو لم تكن كذلك؟ ماذا لو كان القدر يريده أن يعمل أو يسلك طريقاً مسدودة. إذا كان ذلك صحيحاً فكبرياؤه سوف تكون مجروحة من كل هذا. مجروحة، نعم، ولكن ليست مكسورة. كان يعلم أن ذلك يستحق المجازفة. وبعد كل شيء هو لا يملك إلا كبرياءه ليخسرها، وهل هذا يعني الكثير بالنسبة للرجل؟

اتكأت كلاريس على الباب غاضبة. لم يغضبها أحد كما أغضبها هذا الكاهن. ماذا حصل للكاهن اللطيف الذي قابلته أول مرة. اجابها صوت في داخلها تحول إلى رجل، رجل جذاب ولكنها لا تملك الآن أي مكان لأي نوع من الرجال، وطبعاً ليس لكاهن.

إنهما لا يملكان أي خيار. لماذا لا يفهم ذلك؟ فلا أحد يتورط بمغامرة عاطفية مع كاهن. فهذا خارج عن الموضوع. كانت تعرف نفسها جيداً لتتأكد من أنها لن تجد أي متعة في علاقة محرمة. ولكن الزواج كان أيضاً مستبعداً وخاصة من كاهن، آخر شيء كانت تريده هو رجل يسيّر حياتها، إذاً لماذا عليها أن تفكر في الزواج من رجل قد يربطها بقوانين معينة وقاسية؟ الفكرة نفسها كانت غير معقولة.

كل ما كانت تريده هو بعض السيطرة على حياتها. تريد أن تكون اماً صالحة. تريد ان تعطي ابنها خيارات لحياته الخاصة. هذا يعني السير في خط جيد وواضح. لقد سارت طوال حياتها وحيدة، وتستطيع أن تقوم بذلك الآن، شريطة أن تجد الخط الصحيح لتسير عليه. وهذا صعب على ما يبدو.

طالما انها لا تملك وسائل فعلية للدعم. وليز ريڤير لم يمنح جزءاً بسيطاً من امبراطوريته المالية لابنه. لقد عاشا على كرم وليز قبل وفاة زوجها ـ ترنت الكبير ـ وهما الآن يعيشان على كرم وليز أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، فهي لم تعمل من قبل. حتى لو أنها تملك بعض الموهبة لتعمل، فالحالة الإقتصادية لا تقدم الكثير لأم تعيل طفلها بمفردها.

التدني في مستوى انتاج النفط، أدّى إلى رمي قسم كبير من المجتمع خارج العمل. هناك رجال يعيلون عائلات كبيرة يتقاضون الحد الأدنى الذي تقدمه الأعمال. على كل حال، فهي تنظر إلى الموضوع من عده نواحٍ، هي معتمدة على وليز مالياً، إذ عليها أن تسعى لنيل استقلاليتها ضمن نطاق المنزل، وان قامت بخلاف ذلك، تكون ارتكبت أسوأ حماقة بحق أهم شخص في حياتها، ابنها.

لعل بولتن تشارلز لا يدرك ما الذي يطلبه منها بابتسامته ونظراته وكلامه المثير. ولكنها فكرت في إمكانية شرح الأمر له. أصبح قصده واضحاً، لذلك عليها أن تبتعد عن أي كلام قد يشجعه.

هذا الكاهن ليس من آل ريڤير، وسوف يستسلم بسهولة. ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التساؤل عن سر اهتمامه بها. هل من الممكن أنها تشبه امرأته السابقة في أمور عديدة؟ أو هل هو من الرجال الذين يعتقدون أن واجبهم إنقاذ امرأة أرملة. لم تتأكد مما إذا كان في إمكانها أن تعرف الحقيقة يوماً، ولكنها لا تستطيع إلا التساؤل.

بعد ظهر نهار الجمعة، توقف بولتن عند الباب الأمامي لمنزل آل ريڤير وترنت إلى جانبه. ابتسم ابتسامة فاتنة

www.liilas.com

لكلاريس وقال: «ما رأيك لو انضممت إلينا نشرب شراباً مثلجاً، يا كلاريس؟»

«كلا، شكراً.»

«ألا تريدين شيئاً بارداً ومنعشاً في يوم صيف حار؟»

«ولا حتى شراباً بارداً.»

نظرت نحو ابنها لتقول له وهي تغلق الباب: «تمتع بوقتك.»

ربحت الجولة الأولى، هذا جيد، ولكنها البداية.

وقف بولتن صباح الأحد في الممر الأمامي للكنيسة ليصافح الناس ويرحب بهم، وبينما هو يراقب السيارات وهي تحضر الأطفال. توقفت السيارة المكشوفة البيضاء، استأذن ليتقدم ويفتح الباب لترنت. ابتسم له بولتن وأصلح ربطة عنقه وقال: «إنك تعرف إلى أين تذهب أيها الصديق. لا تريد أن تتأخر عن صفك.»

لوّح ترنت لأمه وانطلق. لم يترك بولتن قبضة الباب. وبدلاً من ان يقفله فتحه على وسعه، وانحنى ليبتسم لكلاريس.

قالت بجفاء: «إنهم يتوقعون وجودي في المنزل، يا بولتن.»

«ألن تبقي لحضور الدرس؟»

«قلت لك انهم يتوقعون وجودي في المنزل.»

«يمكنك مواجهة هذا الرجل العجوز في أي وقت تريدين.»

أمالت رأسها وهي تبتسم ابتسامة جذابة: «إكتشفت ذلك. أليس كذلك؟»

وضع يده على قلبه: «نقطة أخرى لمصلحة السيدة. لكن اللعبة لا تزال في البداية.»

«إنها ليست بلعبة، يا بولتن. إنها حياتي.»

«حسناً. أريد أن أكون في حياتك يا كلاريس. أعطني فرصة واحدة. يمكن أن تكتشفي انك في حاجة إليّ.»

«ما أريده الآن هو فنجان قهوة يا بولتن.» جوابها كان مهذباً تهذيباً اصطناعياً. قادت سيارتها إلى الأمام، ثم أقفلت الباب لتقودها بسرعة وتختفي. عندما أعاد بولتن ترنت إلى البيت بعد القداس كانت خارج البيت.

مساء الثلاثاء وعد بولتن سكرتيرته كورا بيمز بانه سوف يجلس مع أحفادها خلال خروجها هي وابنتها إلى العشاء. الأولاد كانوا أصغر من ترنتون، لذلك أقنع بولتن ترنت بأنهما سوف يلعبان دور الحاضنة. نتيجة لذلك اعتبر ترنت نفسه موظفاً. اعتقدت كلاريس أن بولتن لم ينتبه لذلك. فعندما فتحت له الباب حاولت أن تعطي بولتن فاتورة بخمسة دولارات ليدفعها كأتعاب له. أعاد بولتن الفاتورة إلى كلاريس.

«لقد اتفقنا على ان الدفع سيكون على طريقة المثلجات.»

اقتنعت، فهو يسيطر على الأمور كلها. ولكن على أحد أن يدفع ثمن هذه الطريقة. كانت تعلم أن بولتن لن يطلب من ولز مصاريف، لذلك قالت: «اسمح لي أن اشتري المثلجات.»

ضحك قائلاً: «أنا لا أمانع. ولكن ليس الليلة. لقد تركت كورا مثلجات في المنزل. يمكن أن تشتري لي في أي وقت يختاره قلبك الصغير. ما رأيك بنهار الجمعة؟»

«ما رأيك لو أعطيك الخمسة دولارات، وتشتري لنفسك متى شئت؟»

«ما الخطأ في الذهاب معي لتناول المثلجات؟»

www.liilas.com/vb3

«ليس من خطأ يا بولتن، ولكن ليس من شيء صحيح في ذلك أيضاً.»

«أرجو أن تعاودي التفكير بالدعوة.»

«الرجاء لا يناسبك يا بولتن.»

«حتى السخرية تتقنينها، يا كلاريس.»

«إنك حساس جداً. تصبح على خير.»

عندما استدار نحو ترنت، تنهد بولتن وقال: «لا أعتقد أنني مازلت أخجل أمك، أيها الصديق.»

«لا، لكنك تغضبها بشكل أكيد.»

توقف بولتن وضحك لرفيقه الصغير: «هل هذا صحيح؟»

رفع ترنت عينيه إلى الأعلى: «قالت انني لا أفهم، ولكن أعتقد أنني قد أفهم.»

ضحك بولتن ضحكة خفيفة: «لا، لقد أنبتني مرة لأنني تباحثت في أمورها معك. لن أقترف الغلطة نفسها.»

هز ترنت رأسه باشمئزاز وتابع سيره، وقال بصوت رجولي تعلمه من بولتن: «النساء!»

ابتسم بولتن ابتسامة غابت سريعاً، وتنهد وقال برقة: «المرأة! هذه فقط، امرأة عنيدة.»

لكنه لم يكن مستعداً ليستسلم بعد. الصبر، ذكّر نفسه، هو فضيلة. بعد تسعين دقيقة، ذكّر نفسه ان الصبر ليس فقط فضيلة بل ضرورة. منذ اللحظة التي وصل فيها إلى منزل كورا بيمز، أصرت حفيدتها ميلي، وهي في الرابعة، على أن تبقى في حضن بولتن ومرفقها على ضلوعه، واصبعها في فمها، وكعب حذائها يغرز في ركبته. لا شيء يغيّر وضعها هذا. حتى الإقتراح بأن تركض وتلعب مع الصبيان

كان جوابها: «أريد أن ألعب معك.» ولمعت عيناها بنظرة مهددة وأخذت تمتص إصبعها.

لم يجد بولتن ملاذاً إلا في حملها بين ذراعيه، وأخذها معه، عندما ذهب ليرى المصيبة الأخيرة التي قام بها أخوها الشقي كوري. قبلت ميلي هذا بكل طيبة خاطر، وحملها كأنها دمية صغيرة.

لم يتخيل يوماً أن ولداً في الرابعة يمكنه أن يكون بهذا الثقل، وأن طفلاً في السادسة بهذه القدرة على الأذى. بدا أن كوري كان يظن أن من واجبه أن يحوّل منزل جدته إلى مجزرة.

هاجم الطفل تلفزيون جدته بقوس اسهم مطاطية. واحد منها أصاب خد ترنت خطأ. بعد ذلك أخفى بولتن هذا السلاح وعندما تحوّل كوري إلى كرة بشرية للعب البولينغ. وقد أصر على أن يجعل ترنت الهدف. فأخذ يركض بسرعة في الممر ليوقع ترنت، وخزانة الأواني الصينية في غرفة الطعام عندما اصطدمت بالحائط.

قرر بولتن أنه لن يسمح بلعب البولينغ مجدداً، وهو يحمل ميلي بين ذراعيه. ولكن بكل شجاعة، وبدون أي امتعاض ظاهر، اخترع كوري طائرة من كراسي المطبخ. وعيّن ترنت القبطان وهو معاون القبطان. ثم فجأة حوّل نفسه إلى لص يبتز الأموال كفدية، ثم هرب نحو البراري الموجودة بجانب طاولة المطبخ مهدداً زجاج حجرة التخزين في زاوية المطبخ. حاول ترنت أن يمنع السارق ـ كوري ـ من إطلاق النار، ولكنه أصيب لأن أصابعه كانت مربوطة كما أصر كوري.

www.liilas.com/vb3

فكر بولتن بربط هذا المزعج الصغير إلى الكرسي في غرفة الجلوس. ولكن بعد محادثة قصيرة مع ترنت، استنتج فكرة لامعة ومبدعة. مع قليل من الإلحاح، وافق ترنت بطل الصف في المصارعة على أن يعطي كوري بعض الدروس في المصارعة. نقل بولتن طاولة القهوة إلى أحد الجوانب، ورسم حلقة بالشوكة بعد تمريرها في وبر السجادة. فعل هذا كله وميلي معلقة برقبته. خلع ترنت وكوري. حذائيهما. وبدأ ترنت باعطائه محاضرة طويلة مع بعض اللكمات في الهواء حتى يسترعي اهتمام كوري. وبعد ذلك بدأ الإستعراض الحقيقي.

خبرة ترنت كانت واضحة ومميزة. ولكن النضج والسيطرة اللذين أظهرهما ليبقى كوري منجذباً بدون أن يشعره بالملل كانا غريبين. شعر بولتن بالفخر لتصرف ترنت. كان يعلم أنه لم يساهم في تطور وتربية ترنت لهذا التاريخ، ولكنه لم يشعر بأنه لا يمكن لأي صبي أن يكون بهذه الشخصية، والحكمة. وشكر حظه لأنه قد طلب منه أن يساعد حفيد وليز ريڤير، وليس أحفاد كورا بيمز.

ولكن يجب ان يقول الحق عندما يطلب منه ذلك، فهو يحترم كوري لأنه يتمتع بروح رياضية جيدة، وهو مثابر مرح. فعلى الرغم من كل الضربات التي وجهها إليه ترنت كان الصبي يصر على تعلّم المزيد.

عند عودة كورا وابنتها ليزا من السهرة، كان ترنت وكوري قد تعبا جداً بسبب مجهودهما. حتى بولتن كان يشعر بأنه قد وضع في مطحنة، وطحن ليصبح عجينة طرية.

على الرغم من أن كورا كانت مشتتة التفكير، فقد لاحظت

أن بولت كان منهكاً جداً، وأسرعت لتنقذه من حفيدتها التي كانت ممسكة به باحكام.

لسوء الحظ لم تنتهِ ميلي بعد. كانت تريد ان تلعب مع بولتن، ولكنهم استطاعوا أن يقنعوها بلطف بعد ان وعدوها بالمثلجات.

كان ترنت يشعر بالنعاس، ولكن كوري، برغم تعبه، تجاهل انتباه امه، وأكل المثلجات. بدون أي ارتباك استطاع بولتن ان يخرج بسرعة، مما سمح لترنت أن يحافظ على كرامته ويذهب سيراً على القدمين إلى السيارة. ولكن عند وصولهما إلى منزل ريڤير كان نائماً، وهو يسند رأسه إلى النافذة.

لم يشأ أن يوقظه. حمله بولتن إلى البيت واضعاً إياه على كتفه، ثم انحنى ليدق الجرس. فتحت كلاريس الباب وهي متوترة. علم انها قد نظرت من ثقب الباب.

أخبرها بهدوء: «إنه بخير، ولكنه لعب كثيراً، ولا أعتقد انك تستطيعين حمله إلى غرفته. إذا سمحت أرشديني إلى غرفته...»

أومأت برأسها. وجهها هادىء. تراجعت إلى الوراء لتسمح له بالدخول. أغلقت الباب، وأسرعت أمامه وقادته عبر الممر إلى أعلى الدرج، ثم إلى آخر الممر. لم تكن، كما توقع بولتن، غرفة لطفل صغير. إنها من نوع غرفة للدرس. كان التلفاز يعمل بصوت خفيض في الغرفة المضاءة. أطفأته كلاريس وقادته إلى أحد السريرين. عندما وضع الصغير في السرير تخيّل ان كلاريس، بصغرها ورقتها سوف تأخذ وقتاً طويلاً في نزع ملابس ابنها. لذلك أخذ يقوم

بالعمل بمفرده، وبسرعه نزع حذاءه وجواربه، ومن ثم سرواله وقميصه. غطت كلاريس ابنها بالغطاء، وبمحبة اسبلت شعره إلى الوراء.

تدحرج ترنت على السرير. تثاءب بدون أن يفتح عينيه وقال: «تصبح على خير يا بولت.» ثم أضاف: «تصبحين على خير، يا ماما.»

أحس بولتن بشعور دافيء وناعم في داخله. كان يريد ان يبقى أمام هذا الصغير الذي كان يضم الغطاء بين يديه الصغيرتين. يا له من طفل جيد. هذا ما كان يفكر فيه عندما شعر بيد على ذراعه. استدار ببطء وتعلق بها وهي تسقط بعيداً. أخفضت نظرها. لاحظ في الضوء الضئيل أن وجهها شاحب. شعر بالغضب، وباصرار مفاجيء، أراد أن يوضح الأمور بينهما. أخرجها من الغرفة وهو ممسك يدها بقوة، وهناك خلف باب غرفة ابنها ادار وجهها نحوه ليحدق بها.

همس بقوة: «ما الذي تجدينه كريهاً فيّ؟»

بدت الصدمة واضحة في عينيها: «لماذا! لا شيء!»

لا شيء؟ أحس بفورة سعادة لهذا الشعور الجيد. بدون أي تفكير أو تخطيط بدا طبيعياً جداً.

أخذها بين ذراعيه وعانقها.

الفصل الرابع

انتقلت من صدمة إلى أخرى. من صدمة الاشمئزاز من بولتن تشارلز، إلى صدمة الاعجاب به على أنه الرجل الأكثر جاذبية في حياتها. إنها تجربة فريدة من نوعها، وقد بدا أن عقلها قد قسم أعماله. ففي حين أن قسماً كان يستوعب الشعور الذي اندفع فيها عندما التفت يداه حولها، والقسم الآخر كان مشغولاً في مقارنة كل مظهر لهذه الحادثة مع مظاهر مشابهة قليلة العدد في الماضي. وجدت أن العدد كان فعلاً قليلاً جداً. وكانت بطريقة ما مدركة لكل فارق يتعلق بهذه المناسبة أو الحدث. وفي نفس الوقت تطالب عقلها بحفظ هذه الدقائق القليلة.

كان شعورها بهاتين اليدين مندهشاً كلياً.

القسم الآخر من عقلها كان يحاول أن يعيش مجدداً ذكرى من الماضي. في أحد الأيام عندما عانقها والد ترنت في زاوية احد المباني، قد صعقت يومها. كانت في السابعة عشرة، وكانت تخاف أن يشاهدها أحد. خلال الأعوام التالية، عانقها عدة مرات بدون أن تتوقع ذلك. عندما يكون سعيداً جداً، أو عندما يريد أن يبعدها عن الأشياء التي تقلقها. ولكن هل عانقها يوماً بهذه الطريقة؟

أبعدت الفكرة بعيداً. هذا ليس عدلاً. زوجها توفي منذ خمس سنوات. وهي لا تريد آخر، وخاصة كاهناً. خطرت على بالها الفكرة، ولكن بولتن ابتعد عنها ليضمها إليه

www.liilas.com

بعطف وحنان. فاجأها هذا، فهي لا تستطيع مقاومة حنانه. وبعد صمت طويل تكلم بصوت أجش: «سامحيني، لقد تصورت أشياء كثيرة على ما اعتقد.»

أخبرته: «لقد فعلت منذ البداية.» صعق من الحدة الواضحة في صوتها.

أمال رأسه قائلاً: «هذا ما يبدو. ولكن هذا ليس من صفاتي. لقد كنت دائماً بارعاً في معرفة مشاعر الآخرين جيداً.»

شحبت وبدأ الذنب يغمرها. قاومته ورفعت رأسها بقوة.

«إذاً ماذا لو كنت تعجبني؟ منذ متى كان هذا يعني أنني أريد أن اتورط معك؟»

جفل: «انك على صواب طبعاً. كما قلت لقد افترضت أكثر من اللازم. هذا لن يتكرر ثانية.»

هذا بالضبط ما أرادت أن تسمعه. لماذا إذاً أحست باحباط؟

«إنني سعيدة لأنك أخيراً فهمت.» أضافت بهدوء: «أنت... أنت رجل طيب يا بولتن. أريد أن اعتبرك صديقاً أنا ممتنة لك لما فعلته... لما تفعله من أجل ابني ولكن...»

أنهى قائلاً: «ولكن الصداقة هي كل ما تريدين مني.»

هزت رأسها موافقة، وهي تشعر بالامتنان وبخيبة أمل غير متوقعة.

قالت: «لم أحاول أن أجعلك تشعر بشيء آخر.»

«لم تفعلي. حسناً، إذا كنت تريدين الصداقة، الصداقة هي ما ستحصلين عليها.»

«شكراً. إنك رجل طيب حقاً. فأنا مثل ابني، قد احتاج إلى صديق جيد.»

تحرك شيء في وجهه: «إذاً، انك تريدين أن اتابع مع ترنت؟»

«نعم، طبعاً... إلا اذا كنت تفضل ألا تفعل.»

«لا! انني معجب جداً بهذا الصبي. إنه أفضل رفقة حصلت عليها منذ زمن.»

ابتسمت والكبرياء تغمرها: «انني سعيدة. يجب أن يرافقك، ويجب أن يلعب البيسبول.»

ابتسم لها: «أول مباراة نهار الخميس.»

«أعلم ذلك. سوف أكون هناك.»

«أنا أيضاً.»

«جيد، فوجودك سوف يساعده.»

أكد لها: «أوه، سوف يكون بخير، لقد تكلمت مع المدرب فهو صديق قديم لي. قال ان ترنت يملك موهبة أكثر من أي صبي في عمره.»

قالت: «لقد كان لطفاً منك أنك ادخلته في الفريق بعد ما فاته تسجيل الصيف.»

هز بولتن كتفه: «لم أفعل شيئاً. لقد كان هناك مكان شاغر في الفريق. لقد كانوا يائسين في الحقيقة. وترنت كان جيداً، لهذا قبلوا به. برغم أنه أصغر الأعضاء. أقول لك الآن، لو أن هذا الصبي قد قام بالتجربة في أول الصيف. لكان المدربون يتقاتلون عليه. انه مهم هذا الصبي.»

خفق قلب كلاريس بقوة في صدرها. هل هو يعلم أنه يتكلم مثل أب حنون؟

فجأة خطر على بالها أن طلب وليز بأن يلعب دور الأب في تربية ابن لن يكون ابنه أبداً هو طلب غير عادل. ولكنهما

www.liilas.com.vbs

صديقان. اليس كذلك؟ بولتن وترنت، أليس هذا بكاف؟ لقد كانت تريد أن تسأله، ولكنها لم تجرؤ، لم تكن تريد أن تجازف بتنكير بولتن بمشكلة من الممكن أنه لم يفكر بها. لقد كان طيباً جداً مع ترنتون، وكان عليها أن تضع حاجيات ابنها أولاً. أبعدت أي تأنيب للضمير.

قالت: «حسناً، أعتقد أننا سوف نراك يوم الخميس.» كانت تريده أن يذهب في أقرب وقت.

نظر إليها للحظة، ثم مرر يده خلف عنقه موافقاً: «صحيح، الخميس.»

ابتسم ابتسامة لم تنعكس في عينيه اللتين اصبحتا كئيبتين تقريباً. ثم أضاف: «تصبحين على خير. سوف أرشد نفسي إلى الخارج.»

طوت يدها وهي تقاوم رغبتها في الهرب. كان عليها أن تتبعه لتغلق الباب طبعاً. ولكنها أرادت بعض المسافة بينها وبين بولتن تشارلز. إنه يثير أعصابها، وبطريقة ما ينتهي بها الأمر دائماً وهي تشعر بالذنب. لقد تعبت من الشعور بعقدة الذنب! راقبته وهو ينصرف من الغرفة، واستمعت براحة لوقع قدميه وهو يغادر. اختفى الصوت تدريجياً. وبعد لحظات سمعت باب السيارة يغلق.

لم تتصور يوماً أن هذا سيكون سهلاً. مسك زمام الأمور في حياة الانسان ليس سهلاً ناهيك بتحمل مسؤولية طفل. ولكنها سوف تقوم بهذا حتى لو قتلها ذلك. كانت تعرف حدودها. فعلى بولتن تشارلز ان يعتني بنفسه.

بطريقة ما كانت تعرف انه قادر على ذلك، وأملت أن تكون هي قادرة على ذلك.

لقد كان متوتراً جداً. رأت ذلك في عينيه، في شفته المتوترة، وكتفيه المربعتين بحزم. لقد شرح لها ان البيسبول كانت مختلفة عن المصارعة. إذا أخطأ في الملعب فإن الفريق كله سيعاني. هل تستطيع أن تتلو له الدعاء؟ لقد كانت تنوي أن تطلب ذلك من بولتن. ولكن بولتن تأخر وهو لا يريد أن يخيب أمل فريقه. تأخر بولتن، لم تستطع إلا أن تتساءل إذا كان لهذا علاقة بها. طبعاً لا، هل يعاقب ابنها لأنها رفضت عرضه الرومنسي؟ لا يمكنها ان تصدق ذلك ولكنها تساءلت.

نادى الحكم ليستعد الفريق للعب بعد ربع ساعة، وبولتن لم يحضر بعد، ابتسمت كلاريس للأهالي حولها. ومطت رقبتها لتبحث في المنطقة. لقد طلب من الفريق الخصم أن يرمي الكرة. لذلك أخذ ترنت وأعضاء الفريق مواقعهم في الملعب. الرامي، وهو واحد من المدربين، توجه نحو مكان الحكم، واحكم قبضته على مضرب الكرة. التوى إلى الأعلى. تحرك المضرب، وأعلن الحكم عن الضربة الأولى. كان الجمهور يتهامس ثم يصخب، وبعضهم يصرخ تشجيعاً، وبعضهم يعطي نصائح للاعبين. سمعت أحدهم يخاطب ابنها: «رأسك إلى الأعلى، إلى الأعلى سوف يصطدم.»

نظرت خلفها تختلس نظرة إلى رجل بدين يرتدي سروالاً قصيراً مع قميص قديم. ألقى نظرة عليها. لم تكن ودية ولا عدوانية ثم أعاد اهتمامه إلى المباراة. في هذه اللحظة سمعت صوتاً حاداً وقفز افراد الجمهور صارخين. رفعت رأسها في الوقت الذي كان ترنت يرفع رأسه، ونظره مصوب نحو الكرة. شعرت بالذعر. لماذا لم يركض خلفها؟ ألم يكن

www.liilas.com

من المفروض عليه أن يلتقطها؟ لقد شرح لها وظيفته في الفريق، ولكنها لم تستطع أن تتابعه. عضت شفتها بقوة. اتمنى ألا يخطىء، سوف يشعر بخيبة أمل. ارتطمت الكرة بالأرض وتدحرجت. التقطها طفل آخر، ونظر بسرعة في الاتجاهين قبل أن يدعها تحلق مجدداً. قفز قلبها. الكرة كانت تتجه نحو ترنتون. ضارب الكرة كان يركض من القاعدة الثانية إلى القاعدة الثالثة. خطا ترنتون مباشرة في طريقه. وانحنى نحو الأعلى وكفه مرتفعة نحوها. سقطت الكرة مباشرة في كفه اليمنى. علا الصراخ حولها. ثم تحول إلى هتاف. لاحظت كلاريس أنها كانت واقفة على قدميها. والرجل البدين خلفها كان يصرخ: «يحيا الصبي! يحيا الصبي! لعبة موفقة!»

استدارت إلى الخلف وسألت: «ماذا حدث؟ هل قام بعمل حسن؟»

كانت نظرته عابرة: «الصبي؟»

«نعم.»

لقد قام بعمل رائع! لقد أخرج الخصم خارجاً.»

«أوه! وهل هذا حسن؟»

نظر إليها كأنها شخص غريب عن الأرض. «اثنان آخران خارجاً ونربح ضربة.» استدارت كلاريس لتجلس، وهي لا تريد أن تحرج نفسها مجدداً.

ضحكة خفيفة بالقرب من أذنها جعلتها تستدير مرة أخرى. ضحك لها بولتن:

«قلت لك انه سوف يكون بخير؟»

«انك هنا!»

غابت ضحكته: «متأخر أحسن من عدم الظهور أبداً. آسف، كانت حالة طارئة.»

«ماذا حدث؟»

«واحدة من المقيمات في بيت التمريض نقلت إلى المستشفى. العائلة منفعلة طبعاً. الموت قد يكون راحة في هذه الحالة، ولكن ساعة الموت تكون دائماً صعبة. وعدت بأنني سوف أعود مجدداً. سوف يكون عليّ أن أعود باكراً إذا أرسلوا في طلبي.» وأشار إلى الجهاز المعلق في حزامه.

عضّت كلاريس شفتها غاضبة بسبب شكوكها السابقة: «إنني متأسفة. لم يكن عليك أن تأتي.»

«هراء. حضوري مطلوب في ما بعد وليس الآن. إلى جانب ذلك، أريد أن أراه يلعب.»

ابتسمت تلقائياً: «إنني سعيدة، اتمنى لو أنه يعرف انك هنا.»

«سوف يعرف. في المناسبة، الفريق يمكنه أن يسجل ضربة واحدة فقط.»

«آه وعندما يسجلون نقطتين خارجاً يمكننا أن نضرب.»

«صحيح»، ثم أعاد انتباهه إلى المباراة، وكان الحكم رمى كرة أخرى. وأضاف بهدوء: «وعندها سوف نعرف ماذا يمكن لهذا الفتى أن يفعل.»

توترت كلاريس فوراً، على ابنها ان يواجه امتحاناً آخر. بلعت ريقها اعتراضاً مذكرة نفسها أن ترنتون هو من أراد أن يقوم بذلك، برغم أنها لم تتصوّر لماذا. وأعادت تركيزها وانتباهها إلى المباراة.

www.liilas.com/vb3

كانت يداها متشبثتين بحافة المقعد، وتركيزها كان متوتراً جداً حتى أنها لم تنتبه إلى النظرة الطويلة التي رماها بولتن نحوها، أو أن تشعر بلمسته الرقيقة على أصابعها.

في الواقع مر وقت طويل قبل أن يأتي دور ترنتون مجدداً. وعندما حان الوقت كان الفريق قد سجل نقطتين مقابل واحدة. تقدم ترنت ونزع خوذته ومسح العرق عن جبينه بكمه. بدأت تدعو له مجدداً. ليقاطعها بولتن مبعداً يديها عن فمها. أمسكها بشدة بيده وأمرها برقة: «افرحي، سوف يقوم بعمل حسن، وهذه لعبة فقط.»

صرخ الرجل البدين من ورائها: «هيا، أيها الصبي. لا تخذلنا.» أدارت كلاريس رأسها بعنف وقالت: «هل تسمح؟ فهو يعاني من الضغط بما يكفيه.» حملق فيها الرجل وقال: «ألا تلاحظين التشجيع عندما تسمعينه يا سيدة؟»

التشجيع! فتحت فمها لتسأله ماذا يفعل بهذا التشجيع ولكن بولتن لف يده خلف كتفها وأدارها إلى الأمام وهمس: «دعينا نركز على المباراة.»

أدركت أن ترنتون عاد مجدداً ليتوجه نحو اللوحة فجف فمها من التوتر.

رفع المضرب وهو يميل قليلاً عند الوسط. بدا أن الرامي أخذ وقتاً أكثر من اللازم، ولكن ترنتون استمر في حمله للمضرب بثبات، استعد الرامي... وهذا غير عادل. رجل ناضج يرمي لمجرد فتى! استعد و... هبطت الكرة على المضرب. صرخت كلاريس واندفعت بقوة على قدميها. شد بولتن يده حول كتفها. حلق المضرب عالياً وكذلك ترنتون.

كانت تقفز وبولتن كان يقفز أيضاً بجانبها، وذراعه المحكمة انزلقت إلى خصرها محاولاً ابقاء يديها إلى جانبها. ترنتون على القاعدة الأولى واندفع بسرعة بالغة. تأوّه بولتن وبدأ الرجل الذي وقف خلفهما يصرخ: «لا! لا! ارجع! ارجع!»

التقطت كلاريس أنفاسها، وبنظرة مرعبة أدركت ان اللاعب الموجود في أقصى الملعب وبيديه القويتين كان على وشك أن يرمي ابنها خارج القاعدة الثانية. ولكن كيف كان في امكان ترنتون أن يعرف ذلك؟ أسرع ترنتون كانه قاطرة على الجسر، رمى به أرضاً واضعاً رجلاً مترنحة على القاعدة. اجتازته الكرة بسرعة فائقة واستقرت في التراب. رفع الحكم يديه في الهواء وأعلن «آمنة.»

التوت ركبتا كلاريس. كادت تنهار أرضاً لو لم تلتقطها يدا بولتن، كان يصرخ في أذنها ويقفز فرحاً. أخذ الرجل الواقف خلفها يربت على كتفها قائلاً: «أحسن! أحسن! هذا الطفل الصغير يمكنه أن يركض بسرعة. وقد كانت لعبة صعبة أيتها السيدة!»

استطاعت أن تقول بوهن: «شكراً.» قبل أن يجلسها بولتن إلى جانبه ويقول: «آه، يا رجل، كنا على وشك... توقف قلبي عندما ركض إلى القاعدة الثانية. يا لها من لعبة، قلت لك انه سوف يقوم بعمل جيد، قلت لك ذلك!»

شعرت بوهن. ولكنها أجبرت نفسها على الابتسام. وفتحت فمها لتتنشق قليلاً من الهواء. وببطء ادركت ان يد بولتن ملفوفة الآن حول كتفها بصورة طبيعية. وبانزعاج تنحت جانباً، ملتصقة بالمرأة الموجودة إلى جانبها والتي

www.liilas.com.vb

بدورها نظرت إليها بعبوس. نزع بولتن يده، وأخذ يصفق بتشجيع للصبي على القاعدة. ولم ينظر نحوها ولم يقل شيئاً. لكن شيئاً أخبرها انه أدرك بوضوح انزعاجها. شعرت للحظة بالأسف، ولكنها ابعدت هذه الفكرة عن رأسها.

إذا كانا سيصبحان صديقين عليهما أن يتعودا على التعامل ضمن حدود الصداقة. كان يعرف موقفها. وإذا أراد أن يرفض... تخلت عن الفكرة وركزت على المباراة.

بعد دقائق قليلة، تلقى ضارب الكرة رمية جيدة مما دفع ترنتون للتحرك. إلى ما قد يحول إلى نتيجة نهائية. كان الحماس لا يزال ضعيفاً عندما رن جهاز بولتن. ألقى نظره نحو الأسفل عابساً ثم نظر إليها معتذراً.

«يجب أن أذهب. أنا متأكد انه علم بانني هنا. ولكن أخبريه كم أنا فخور به. حسناً؟» نزل إلى الأسفل نحو المدرج. أخفت شعوراً بخيبة الأمل غير مرغوب فيه.

«طبعاً، اتمنى أن يسير كل شيء نحو الأحسن في المستشفى.»

قال برقة: «لا شك في ذلك، فهذه إحدى ميزات الايمان.»

التفتت المرأة التي تعدت كلاريس على مكانها سابقاً نحوها. كانت نظرتها ودية: «هذا هو الكاهن، أليس كذلك؟»

أحست كلاريس برجفة تحذيرية: «نعم.»

ابتسمت المرأة: «إنه رجل طيّب. لقد كان أخي عاطلاً عن العمل السنة الفائتة وفقد منزله. وجد الكاهن تشارلز منزلاً له وحمل الكنيسة على دفع قسم من الايجار، حتى استطاع أن يقف على رجليه مجدداً. لقد طلب من أخي أن يعتني

بالمباني المحيطة بالكنيسة، حتى لا يتصور أنها حسنة. إنه رجل طيب.»

وافقت كلاريس: «جداً.» خوفها تحوّل إلى فخر غريب وشرحت كأنها تدافع عن نفسها: «إنه صديق ابني.»

اتسعت ابتسامة المرأة: «الصبي الذي ركض في الهدف الأخير، صحيح؟»

ابتسمت لها كلاريس في المقابل: «هذا صحيح.»

قالت المرأة: «لاعب جيد، يا ليته كان في الفريق الآخر.»

شكرتها كلاريس. وعادت لمشاهدة المباراة. بولتن رجل طيب. وترنتون لاعب جيد... وهي أم جيدة أو هي تحاول أن تكون كذلك. تحاول بمشقة.

طوت يديها في حضنها، وأخذت تراقب الدقائق الأخيرة من المباراة وهي تتجاهل الوحدة التي شعرت بها فجأة، على الرغم من أنها محاطة بعشرات الأشخاص على هذا المدرج والذين لا يربطها بهم أي شيء مشترك.

تساءلت عن تلك العائلة في المستشفى. بولتن سيكون معزياً لهم. صديق قوي في وقت الحاجة. فكرت بأن تتصل لاحقاً لتسأل ماذا حصل. ولكن لا، هذا لا يعنيها. بولتن لم يذكر حتى اسماً.

قد يفسر تعاطفها على أنه اهتمام به.

عبست، مسألة الصداقة هذه معقدة أكثر مما تصورت. لو أنه لم يظهر بوضوح اهتمامه في مجالات أخرى. برغم ذلك كانت تعلم أنها سوف تخرج هذه المعانقة من صندوق الذكريات في عقلها، وتقلبها مرة بعد مرة في عقلها لفترة طويلة.

www.liilas.com/vb3

أعلن الحكم نهاية المباراة. وانتهت بفوز فريق ترنتون الذي بدأ بالقفز والصراخ فرحاً. تركهم المدرب يحتفلون لوقت قصير. ثم صفهم في صف ليصافحوا الفريق الآخر.

سارت كلاريس حتى وصلت إلى الحاجز الذي يحمي المشاهدين من الضربات القوية والكرات العالية. استمعت إلى التعليقات من حولها.

«لعبة جيدة.»

«هذا الصبي الجديد رائع.»

«سيكون مشوقاً أن نشاهد هذا الصبي الجديد، وما يمكنه القيام به من الآن وصاعداً.»

«إيريك يمكنه أن يلعب مثله إذا وجد الوقت ليمضيه معه.»

«ساعات تدريب كثيرة في النهار كما تعرف.»

توقفت عن السماع. ساعات عديدة في النهار، أناس يتأذون، ويموت أطفال صغار من دون آباء، ورجل واحد يهتم مع جهاز معلّق بحزامه، وهذا الرجل كان صديقها. اتخذت قراراً مفاجئاً سوف تبعد الشكوك عنها. إنه يستحق هذا. ما تعني بعض التعقيدات إذا اعتبرنا المكافأة هي صداقة رجل مثل تشارلز بولتن؟ هو رجل لن يقول لا إذا طلبت منه خدمة.

اندهشت عندما ركض ابنها إليها، والابتسامة تعلو ثغره. «مرحباً، انظر إلى نفسك! اعتقد أن هذه الأوحال نتيجة مباراة جيدة وحقيقية.»

«ربحنا.»

«أعرف ذلك.»

«أين بولتن؟ رأيته هنا.»

«لقد اضطر للذهاب لرؤية بعض الأشخاص في المستشفى يا ترنتون، أحدهم مريض جداً.»

قال ببساطة: «حسن، هذا مقبول.»

علمت أنه لم يقصد أن كلمة «مقبول» هي للشخص المريض. توجها نحو الموقف، وسارا نحو السيارة.

أخبرته كلاريس: «لقد شاهدك وأنت تسجل هدفاً.»

اختال قليلاً وقال: «هذا رائع، طبعاً، كنا سنربح بدونها.»

«صحيح ولكنك برغم ذلك لعبت جيداً. لقد أخبرني بولتن أنك ستفعل.»

نظر باعتزاز: «لقد أخبرني ذلك أيضاً، ولكنني كنت متوتراً حقاً.»

لم تقل له انها كانت متوترة أكثر منه. وصلا إلى السيارة، فتح الباب، ورمى بقفازه إلى المقعد الخلفي: «هل استطيع الاتصال به؟»

أوقفت بحثها عن المفاتيح في حقيبتها: «الاتصال ببولتن؟»

هز رأسه: «أريد أن أخبره بأن الخطة نجحت بخصوص اعتراض طريق العداء.»

إذاً تعلم منه هذه الخطوة! كان يجب عليها أن تعرف ذلك. ابتسمت: «سوف نحاول، ولكن من الممكن أن يكون في المستشفى حتى وقت متأخر.»

هز ترنتون كتفيه: «ليس بالأمر الهام. يمكن أن أخبره غداً.»

لكن لم يكن عليه أن ينتظر إلى الغد، فقد ظهر بولتن على عتبة البيت بعد ساعتين، وفي عينيه نظرة اعتذار.

www.liilas.com/vb3

قال بصوت مرهق: «اتمنى أن لا أكون مررت في وقت متأخر جداً؟»

بدا أنه في أمس الحاجة إلى العون إلى درجة أن قلب كلاريس انعصر ألماً. مذعورة من ردة فعلها. كادت تقفل الباب في وجهه، ولكن ترنتون كان يمر عبر الممر، وهو يرتدي لباس النوم. وقد خرج من المطبخ بعد تناوله وجبة ما قبل النوم، ركض نحو الباب.

«بولت!»

أشرق وجهه على الفور: «مرحباً، أيها الرياضي!» وجثا على ركبتيه، وتلقى عناقاً حاراً.

«كان عليّ أن أمر واخبرك. ما اروع المباراة التي قمت بها الليلة. كنت النجم أيها الصديق! لقد افتخرت جداً بك!»

تثبتت قبضة كلاريس بصدرها. لم تر ابنها سعيداً لهذه الدرجة.

كان ينعم بدون وعي بنشوة من الكبرياء لإطراء بولتن. لم تكن هناك أية تعليقات ولا نظرات مختلفة! فقط نشوة النصر. راقبته وهو يضع يده حول عنق بولتن، ومرة أخرى أغمض بولتن عينيه وضمه بعاطفة صادقة واضحة لدرجة أن كلاريس شعرت بالبكاء بسبب الغيرة.

أبعدت هذا الشعور بقوة وبخجل. إذا كان هذا ما يريده ابنها، فهذا ما سيحصل عليه، وعليها أن تكون لطيفة ولبقة على الأقل. وأجبرت نفسها على الابتسام.

«هل تريد أن تدخل لبضع دقائق؟»

ألقى نظرة نحوها: «إذا كنت متأكدة من أن هذا لا يزعجك.»

«لا ازعاج.»

داعب شعر ترنتون واستوى واقفاً: «حسناً، شكراً.»

قادته عبر الأبواب المزدوجة، وقالت فجأة: «هل تحب شراباً منعشاً؟ كان ترنتون يتناول بعض الحليب مع الحلوى، إنني متأكدة من أن هناك البعض منها.»

أصدر صوتاً مرحاً مما أعادها إلى وعيها.

قال: «حليب وحلوى؟ شيء يفسر لي انك لم تستقبلي أحداً منذ فترة طويلة.»

شعرت بنفسها تحمر خجلاً: «أنا... أنا سوف أحضر ابريق قهوة و...»

«لا، لا تتعبي نفسك. لقد تناولت بعضها في المستشفى.» ابتسامته أخفت نبرته الخشنة.

المستشفى. أفكارها تحولت مباشرة إليهم. متاعبهم مؤلمة أكثر بكثير من مشكلتها.

«أريد أن اسألك، كيف سارت الأمور؟»

نظر الصبي وقال بخفة: «لماذا لا نتكلم عن هذا لاحقاً؟»

نظرت إلى ابنها وشحبت: طبعاً من بين كل الأمور الحمقاء التي قامت بها ان مناقشة موت قريب بحضور ترنتون، طغت عليها كلها. خففت من انزعاجها من نفسها، وقالت: «إنه موعد نومك أيها الشاب. تحتاج لليلة مريحة بعد هذا النهار الشاق.»

توسل الصبي: «ولكن أمي، بولت هنا.»

قال بولت: «أمك على حق، سوف أذهب معك إلى فوق، واساعدك على الاستلقاء في الفراش.» نظر إلى كلاريس طالباً الاذن، هزت رأسها موافقة، فرح ترنتون كثيراً لبقاء بولتن معه لدقائق قليلة. «هيا بنا.»

www.liilas.com/vb3

توجه بولتن نحو المدخل، ثم إلى الدرج. كان في امكان كلاريس سماع صوت ابنها المتحمس، وهو يتذكر المباراة وتعليقات بولتن المتحمسة أكثر.

عبرت كلاريس الغرفة إلى أريكة من العهد الفكتوري ومعروفة بـ«أريكة الاسترخاء.» وجلست هناك. ولكن بعد خمس دقائق، كانت تتنقل بدون هدف بين الكراسي الفدرالية الأسلوب إلى الارائك الملكية، ثم إلى طاولات الدنكن فيف. فكرت كلاريس للمرة الألف، لو اعطيت الحرية سوف تنقل نصف هذه الأشياء، وتستبدل هذه الستائر الثقيلة بستائر خفيفة ملونة، وتضفي طابعاً جديداً عليها، وتحضر زوجاً كبيراً من الأرائك مغطى بخطوط عريضة وزهور جميلة. هذا كله ثمين طبعاً. وليز لن يسمح لها ابداً أن تعبث بغرفته، أو أي غرفة في البيت الذي قد يمر عليه مرة في الأسبوع. لسبب ما أزعجها هذا أكثر من المألوف هذه الليلة. لسبب ما، كل شيء يزعجها أكثر من العادة. عادت إلى الأريكة وجلست مجدداً.

مرت نصف ساعة تقريباً، قبل أن ينضم إليها بولتن مجدداً. عندما عاد كان يصفر لحناً رقيقاً، قديماً نوعاً ما. ملامحه تحسنت منذ قدومه. رحب بها بابتسامة وانحناءة بسيطة قائلاً: «اعتقد اننا على وشك تحضير معلق رياضي.» شعرت كلاريس بضيق من صيغة «نحن.» من يظن نفسه، ولماذا يتحدث مع ابنها هكذا؟ في اللحظة الثانية هدأت واستردت رباطة جأشها. إنه صديق، وترنتون شغوف به كلياً. بالطبع هو لم يحاول أن يعايش المباراة معها. أخبرت نفسها بانها أمور تخص «الرجال.» ووقفت على قدميها

بسرعة غير مدركة للجفاء في وجهها. قالت بتهذيب مبالغ فيه: «سوف ارافقك إلى الخارج.» ولكن عندما مرت من امامه امسك بيدها وادارها لتواجهه: «ما الخطب؟»

ما الخطب؟ فتحت فمها لتنطق بكلمات لاذعة. ولكن كيف تخبره بما تشعر... الغيرة، التملك، الذعر؟ بلعت جواباً مؤذياً وأخذت نفساً لتهدأ.

قالت متذرعة: «لقد تأخر الوقت. وقد مررت بليلة صعبة. وابني أخذ الكثير من وقتك.»

سقطت عيناه عليها: «اعتقدت انك كنت مهتمة بما حصل في المستشفى.»

اخفت نظرتها، وتراجعت إلى الوراء بعيداً عن قبضته: «نعم طبعاً! أنت لم تخبرني حتى اسم العائلة.»

أجاب: «كاسويل.»

رفعت نظرها بسرعة: «هل تقصد أصحاب المخبز؟»

لوى شفته من الندم: «هم بالذات. لقد كانت الأم.»

تمنت لو لم يخبرها. لقد كان التعاطف مع ناس لا تعرفهم شيئاً عادياً. ولكن مع معارف جعل الأمر شيئاً شخصياً أكثر. تنهدت، وعلمت ان عليها أن ترسل كلمة تعزية. آل كاسويل، فقد خبزوا كعكة ميلاد ترنتون منذ يوم ولادته. تذكرت دزينات الكعك المحلى التي كانت تصل في أكياس كاسويل إلى منزل ريفير بعد وفاة حماتها وزوجها دون ان تطلبها. بلعت ريقها لتزيل الجفاف في حلقها، وغرقت في أقرب كرسي.

سألت بلطف: «كيف حصل هذا؟»

جلس بولتن على كرسي مقابل لها. وقال: «لقد كانت

www.liilas.com

مريضة منذ فترة طويلة، وتطلبت عناية دائمة. في النهاية ذهبت في نوم عميق وكان هذا رحمة من نواحٍ عديدة ولكن...» اختفى صوته موحياً بالانزعاج.

عضت كلاريس على شفتيها، وهي تقاوم رغبتين متعارضتين: معرفة القصة كلها. وتجنب الأسوأ. ولكن الرغبة الأولى طغت على الثانية. فرفعت رأسها وسألت: «ولكن لماذا؟»

«لا أريد ان تظنني انني انقل الشائعات.»

«لن أظن ذلك.»

«انه لأمر حسن أن اشارك احداً يهتم ببعض الأمور.»

إنها تهتم فعلاً، لم تكن تريد ذلك، ولكنها كانت تهتم. تنهد وضم يديه إلى وسطه: «السيد كاسويل له أخت. لم تكن، ناضجة، وكانت تفتعل مشاكل مع امها. من الصعب أن تتقبل وفاة شخص تحبه. وقد كانت في صراع دائم معه. الندم يأتي أحياناً بعد فوات الأوان. عندما نرى خطأنا، ولا يمكننا تصحيحه. حزن يصبح ممزوجاً مع الندم والشعور بالذنب.» تنهد وأضاف: «ماذا تقولين لشخص كانت كلماته الأخيرة لأمه مملوءة بالكراهية والغيظ؟»

إنه سؤال ليس له جواب، حقيقة، ان عقل كلاريس لا يستوعب ذلك. وتذكرت كلمات من الماضي، كلمات غاضبة وقاسية. أنت لا تحبني! انك تمتلكني! انك تعتبرني من ممتلكاتك، كالحصان والسيارات السريعة! اتمنى لو لم اتزوج منك! اغمضت عينيها كأن من شأن ذلك أن يبعد ذكرى صوتها. عندما فتحت عينيها مجدداً كان بولتن يجثو بالقرب منها.

«كلاريس.»

التقطت أنفاسها، وكانت يدها ترتفع إلى فمها: «لا شيء! انه...»

أخذ يدها الثانية في يده: «انني متأسف، لقد ازعجتك.»

أرادت ان ترتمي بين ذراعيه وتبكي، ولكنها عندما فكرت بيده حولها قفزت على قدميها بذعر. «ارجوك، اذهب الآن، انني تعبة جداً. أنا لا أريد أن اتكلم اكثر من هذا.» كانت فظة بشكل لا يصدق، دقيقة أخرى وسوف تجهش في البكاء أو اسوأ، تصلب وجهه، وراقبته وهو يريح تعابيره، وينهض ببطء على قدميه.

همس بهدوء: «تصبحين على خير.» ثم توجه خارج الغرفة إلى الممر. بعد دقيقة سمعت قارعة الباب النحاسية تقرع، عندما أغلق الباب خلفه بقوة وخشونة.

غطت وجهها بيديها، وارتمت مجدداً على الكرسي. يا للقدر! ماذا يحدث لها؟ سيدة عجوز لم تلتق بها أبداً قد توفيت في نومها، وها هي تبكي وفي حاجة ماسة إلى مؤاساة الرجل الوحيد الذي قد يكون مدمر حياتها.

www.liilas.com/vb3

الفصل الخامس

وقعت كلاريس اسمها في آخر الشيك. استكانت للحظة، وهي تشعر بالرضا. السرور الذي كانت تشعر به هذه الأيام مرده إلى دفعها لفواتيرها، قد يبدو عجيباً لشخص لا يعرف المعركة الحامية التي خاضتها لتحقيق ذلك. كان وليز ريفير يمسك زمام الأمور المالية لفترة طويلة، لذلك شعر بالغضب لتصميمها على فتح حسابها الخاص وتنظيم مدفوعاتها. اقناع بعض الدائنين بارسال فواتيرها مباشرة إليها بدل إرسالها لحساب حميها كان معركة حقيقية. لم تكن تعرف أنها لا تملك أي اسم في المنطقة ليقف الى جانبها. فقد كان من الضروري أن تبرهن أنها تملك الحق ليكون لها ايراد، أو دخل من مزرعة زوجها التي كانت تحت اشرافه قبل وفاته. ثم كان عليها أن تكافح، لمعرفتها أن الدخل كان قليلاً جداً لدفع مصاريفها.

لو لم يؤمن ولبز البيت، ويدفع المصاريف، ويشتري المؤن، لكانت حالتها يائسة. كان هذا ما جعل ولبز يرضخ للنظام الجديد. لكنه لا يزال يملك سيطرة كبيرة على حياتها المالية، ولكن على الأقل استطاعت أن تنتزع بعض السيطرة. كانت مصممة على أخذ المزيد. في الخريف القادم كانت تنوي الإنتماء إلى برنامج من البرامج التعليمية ليساعدها ذلك على ايجاد وظيفة جيدة ومناسبة. ارتجفت

عندما فكرت بردة فعل وللز لذلك. لكنها كانت مصممة، ولا شيء يغيّر رأيها... لا شيء ولا أحد.

مزقت الشيك من دفترها، طوته وأدخلته في ظرف. كانت تختم الظرف عندما قرعت تيريزا الباب، ودخلت الى غرفة الجلوس.

«عذراً، يا سيدة كلاريس. هناك شخص يريد مقابلتك.»

شخص يريد مقابلتها؟ ارتفع حاجبها الرفيع عند سماع الخبر غير المتوقع. هل يمكن أن يكون بولتن تشارلز. خفق قلبها لهذه الفكرة. ولكنها تماسكت ورفعت رأسها، وقالت بفتور: «أخبريه بأنني غير موجودة.» لدهشتها، توجهت تيريزا نحوها وهي تصلح مئزرها.

«إنها سينيورا فرو...» توقفت تيريزا التي لا تتقن حفظ الأسماء أبداً. ولكن من الواضح أن الزائر هو امرأة وليس بولتن تشارلز.

استقامت كلاريس في جلستها، وهي تحاول أن تستوعب هذه المفاجأة. إمرأة تزورها؟ حسناً، هناك طريقة واحدة لمعرفة ذلك. أزاحت كرسيها بعيداً عن الطاولة ونهضت. «حسناً يا تيريزا، سأنزل حالاً، أين استقبلتها؟»

ارتبكت تيريزا للحظة: «تركتها في غرفة الجلوس.» عبست كلاريس. هذا يعني أن المسكينة لا تزال تقف تحت، «أسرعي، وادعيها للجلوس إني قادمة فوراً.»

خرجت تيريزا. حاولت كلاريس أن تتخيّل من يمكن أن يزورها، ونظرت الى الأرض وهي تفكر. كانت لا تزال تنتعل خفّ البيت. أسرعت الى غرفتها. خلعت الخف بالقرب من سريرها، وتوجهت نحو الخزانة وأخذت حذاء مناسباً. ثم

www.ibtesama.com

أصلحت كنزتها وتنورتها وسحبت سترة تناسب ثيابها من الخزانة. لبستها وأقفلت أزرارها الى الأعلى. وبعد تسريح شعرها أصبحت جاهزة لتواجه الزائرة الغريبة.

تساءلت، من يكون الشخص الموجود في غرفة الجلوس. أخذت تعرض بصمت أسماء الذين تعرفهم. الحقيقة المحزنة هي أنها لا تعرف أي صديق. زوجها السابق كان يسيطر على حياتها كلياً منذ لقائهما الأول حتى وفاته، الى درجة أنها لم تجد مجالاً للصداقات. في السنوات التي تلت وفاته عاشت حياتها بين جدران منزل ريفير لترعى ابنها. لقد كانت راضية بذلك حتى بدء ذهاب ترنتون إلى المدرسة بدوام كامل. منذ ذلك اليوم تغيرت نظرتها الى الأمور. لاحظت الآن كم كانت حياتها قاحلة. ولكن لا شيء من هذا ساعدها على معرفة هوية المرأة المنتظرة في غرفة الجلوس.

دخلت كلاريس الغرفة، وهي في حاجة لسبب ما، لكي تبدو هادئة ومسيطرة على الأمور. المرأة الجالسة على الأريكة كانت غريبة كلياً. لقد كانت ممتلئة الجسم، شعرها بني ناعم، وقد تدلى بحرية على كتفيها وقسمات وجهها ناعمة. كانت ترتدي بدلة بحرية مع سترة مزركشة بالأبيض. يداها كانتا تلتقطان حقيبتها اليدوية بتوتر. خطت كلاريس الى الأمام مبتسمة في محاولة لوضع زائرتها براحة.

«أهلاً بك، أنا كلاريس ريفير.»

نهضت المرأة بسرعة: «سيدة ريفير. اسمي أندريا فورست.»

لم يعن لها هذا الأسم شيئاً. دعت المرأة للجلوس مجدداً.

سحبت كلاريس كرسياً لتجلس قبالتها. استقرت على الكرسي وهي في انتظار ان تعرف ماذا تريد هذه المرأة.

«والآن، ايتها سيدة فورست، أعتقد أنك سيدة...»

احمر وجه أندريا فورست: «طبعاً، كان عليّ أن أنكر ذلك، ولكن هذا لقب رسمي جداً... أعني يسرني ان تناديني أندريا.»

ابتسمت كلاريس مجدداً وهي تخفي مفاجأتها. «حسناً، ناديني بدورك كلاريس. والآن، يا أندريا كيف يمكنني أن أخدمك؟»

بدت أندريا أنها لم تتوقع ذلك: «حسناً، لعلك لا تستطيعين.» بعد أن نطقت بهذه الكلمات احمر وجهها، استقامت كلاريس في جلستها، وأصبحت فجأة مهتمة بهذه الزائرة المجهولة. ولكن بعد ذلك بدأت أندريا فورست تضحك بصمت أول الأمر، إلى أن انتهت بالقهقهة بصوت مرتفع، مما جعل كلاريس تضحك أيضاً. قالت أندريا: «انني آسفة.» أضافت وهي تمسح الدموع بيدها: «أشعر وكأنني غريبة في هذا المكان.» لوّحت بيدها ونظرت إلى ما حولها: «أعني، هذا البيت القديم الكبير، كل هذه الأشياء، انها نوعاً ما...»

ساعدتها كلاريس: «مرعب؟»

وافقتها أندريا فورست: «مرعب، ولكن مثير للإهتمام.» وكأنها تريد أن تثبت ذلك فاخذت تمرر يدها على قطعة الأثاث تحتها: «ماذا تسمين هذه، اذا كان سؤالي لا يزعجك؟»

ابتسمت كلاريس وهزت كتفها لا مبالية: «انها نوع من

www.liilas.com/vb3

المقاعد الثقيلة، تسمى أريكة الاسترخاء،، علمت أنها من مقتنيات الملكة فكتوريا. أحد المشاهير أغمي عليه وهو جالس عليها.»

نظرت أندريا فورست إلى هذه الأريكة بتعجب، كأنها تحاول أن تعرف لماذا يريد أي شخص أن يحتفظ بمثل هذه الأشياء.

وضعت كلاريس يدها على فمها، وهي تكبت موجات من الضحك وقالت باندفاع: «مريع، أليس كذلك؟»

نظرت أندريا بتعجب، واذا بابتسامة تملأ وجهها: «لو كنت مكانك لرفضت وضعها في غرفتي.»

فجأة بدأتا بالضحك مجدداً. كان هذا شعوراً جميلاً. عندما هدأتا، كانت كلاريس هي التي تمسح دموعها بيدها. اعترفت بصراحة: «لطالما كرهتها، حماتي، كانت تحب التحف القديمة، لذلك زينت هذه الغرفة بكل تلك التحف، وذوقها لم يكن عملياً أبداً، مسكينة.»

قالت أندريا: «اعتبري نفسك محظوظة. إن ذوق حماتي ان كان منصباً على اللبن والزبدة. انني جادة. لقد صنعت مصباحاً من ممخضة اللبن، وأريكة غرفة الجلوس مغلفة بما يشبه جلد بقرة قديم.»

أعقبت تعليقها هذا عاصفة جديدة من القهقهات والضحك. قالت كلاريس: «اعذريني، كان هذا قلة ذوق مني.»

اعترضت أندريا: «على الإطلاق، لقد كان مجرد قليل من المرح، لم أستغرب ذلك، فقد قال القس انك طيبة، وأرى أنه على حق.»

القس؟ توترت لا إرادياً: «تعنين أن بولتن تشارلز هو من أرسلك الى هنا؟»

هزت أندريا رأسها موافقة: «قال انك متحمسة للدروس التثقيفية، ولكنك في حاجة إلى تشجيع. وطلب مني أن أمر عليك، وأدعوك دعوة شخصية.»

كان عليها أن تحذر ذلك. فعندما يكون المرء مثلها قليل الرفقة لا يصعب عليه معرفة الأمور. الشيء الوحيد الذي يتعذر تفسيره هو الشعور بالخيبة الذي أصابها. ابتلعت ريقها، وهي تحاول أن تبدو سعيدة:

«لم يكن عليك ازعاج نفسك!»

تعجبت أندريا: «لا، لا إنني سعيدة لكوني من يدعوك. فنحن نبحث دائماً عن أعضاء جدد، كما تعرفين. اننا دائماً جاهزون للمساعدة. الى جانب ذلك كنت أريد أن أرى داخل هذا المنزل منذ زمن. لقد سررت للفرصة. ان آل ريف بير أغنياء، وهذا يجعل الأمر غريباً ومشوقاً لزوجة فلاح فقير. ولكنك بالضبط كما وصفك الكاهن. لقد قال انك لطيفة، فاتنة، محبة وجميلة جداً.» أضافت الجملة الأخيرة بثقة.

التقطت كلاريس أنفاسها وهي مصدومة بالبهجة التي أحدثتها كلمات أندريا. بولتن اعتقد أنها جميلة جداً.

أبعدت الفكرة عن رأسها بتصميم. استرخت في كرسيها، وهي تفتش عن الطريقة الأقل احراجاً لتوضح الأمر. «انني، لست متأكدة من كوني مهتمة حالياً، فإن حماي يفضل مراسيم خاصة هنا.»

قالت أندريا بطريقة ودية: «أعرف ما تعنين. أبي كان يعتمد نفس الطريقة، إنه من النوع المحافظ، ولكنه كان

www.liilas.com

طبيباً. يعتقد أن التدريس التثقيفي الكهنوتي بطريقة منتظمة شيء غير طبيعي. ثم مرض بشدة، فأتت امرأة لتزوره في المستشفى. ثم بدأت تهتم بنا. وجد شخصاً يعتني بالأطفال، وبالطعام للبيت وبالأعمال اليومية. اعتنت الكنيسة بكل شيء، النساء كنّ يحضرن للإعتناء بنا نحن الأطفال. لقد كنا ثمانية، وأنا كنت في الوسط. كانوا يرسلون بهؤلاء الشبان ليساعدوا.» توقفت لتضحك: «لقد تزوجت أحدهم وهو رجل متدين. على كل حال كنا بدون مساعدة الكنيسة عاجزين، وأتخيل أن والدي كاد يموت من حسرته علينا. لا يزال حتى الآن يقول ان التدريس الكهنوتي المنتظم غير مهم، ولكنه يذهب كل أحد إلى الكنيسة سواء كان الطقس صاحياً أم ممطراً.»

لم تستطع كلاريس الا أن تبتسم. أندريا فورست هي شخص ودود وصريح. قالت: «لا أعتقد أن حماي سيتحول إلى مواظب على قداس الأحد. ولكن ابني يحب الكهنوت كثيراً، بولتن... الموقر تشارلز ينتبه الى ذلك.»

هزت رأسها كأنها تعرف شيئاً: «أعرف ابنك، انه رائع ومهذب كثيراً. وهو يحسن التصرف. لا بد أن تربيته بدون أب أمر صعب.»

ارتبكت كلاريس: «نعم، ولكنه لا يذكر والده.»

صرخت أندريا بصوت متألم: «هذا محزن. ولكن لا تهتمي، سوف تتزوجين يوماً، من شخص جميل وصغير مثلك.»

صعقت كلاريس، وحاولت أن تخفي ذلك: «أنا لم أفكر في الأمر فعلياً أنا لا أخرج... كثيراً.»

لوحت أندريا بيدها لتصرف هذه الفكرة: «سوف نعتني بهذا. نحن لا ندرس الكهنوت فقط. بل نخرج في سهرات وحفلات. حتى أننا نلعب البولينغ، ونذهب في رحلات صيد وإلى هنالك من نشاطات. ولكن هذا ليس كل ما نفعله. نحن دائماً جاهزون وموجودون لمساعدة بعضنا، مثل ما حصل لنا عندما كان أبي في المستشفى. نحاول أن نساعد في كل مكان، من التدريس الى دفع الإيجار. أي شيء تحتاجه كل عائلة. نحن كعائلة واحدة. أجل هكذا نحن. عائلة. اذا لم نفعل الخير فيجب أن نحاسب.» وضعت يدها على فمها بذعر: «آه، لم أقصدك أنت، كنت أتكلم عن الجميع. هذا يعني أنني لم أقصد... حسناً قصدت ولكن ليس...» بدأت تضحك مجدداً: «كلما فتحت فمي أتكلم بشكل خاطىء، أتعجب كيف أنني لم أصب بمرض في فمي حتى الآن.»

كانت كلاريس تضحك أيضاً. يبدو أن هذا طبيعي في أندريا فورست. فوجئت كلاريس من أنها أعجبت باندريا كثيراً. امضاء الوقت معها سيكون مسلياً جداً. لقد كانت متشوقة لتقبل دعوتها. لِمَ لا؟ لها الحق برفيقة خاصة بها، أليس كذلك؟ عائلة خاصة بها؟ لاحظت لأول مرة أن من الممكن وجود أشخاص قد يحبونها. أو تحبهم. يمكنها أن تفك قيود حياتها قليلاً وربما الى الأبد، وكذلك ترنتون. لذلك أخذت قراراً مهماً جداً.

قالت أندريا فورست: «هل تأتين؟ كلنا نساء في الثلاثين من العمر متزوجات. جميعنا عندنا أطفال. البعض أمضى أوقاتاً صعبة. والبعض أمضى أوقاتاً سعيدة... أنا لست منهن... نشارك بعضنا في أشياء كثيرة، ولكن أهم ما في

www.liilas.com.vb3

الأمر، الإهتمام، لا أعرف كيف تستطيعين أن تقاومي ذلك.»

قالت كلاريس بحزم: «لا أستطيع.» فرحت للطريقة التي أشرق بها وجه صديقتها الجديدة. وأضافت: «اذا كان سائر افراد المجموعة مثلك، فسأكون سعيدة جداً.»

قفزت أندريا، وأسرعت نحو كلاريس لتعانقها. «عزيزتي، أنت مرحة جداً. إنني متحمسة لدرجة أنني سوف أبكي.»

هتفت كلاريس: «لا تفعلي، أرجوك.» ونهضت على قدميها.

ضحكت أندريا: «انني أبكي على كل شيء تقريباً. زوجي لا يصطحبني لمشاهدة أي فيلم لأنه يخاف أن أبكي وأبلل كميّه.»

ضحكا سوية من ذلك. ثم قالت أندريا أن عليها أن تذهب: «لقد تركت الأولاد في المسبح. وسوف آخذهم في طريق العودة، ولقد انتهت حصة السباحة الآن بكل تأكيد.»

قالت وهي في طريقها الى الباب: «على ابنك أن يذهب إلى المزرعة لينضم إلى الأطفال هناك. ليس هناك شيء أظرف من صغار الحيوانات. سوف نحضر شيئاً نهار الأحد. اعتني بنفسك، وسوف أراك هناك.»

قبلت كلاريس من وجنتيها. وركبت أندريا في السيارة القديمة، بينما لوّحت لها كلاريس من على العتبة. كانت كلاريس تضحك وهي لا تكاد تصدق ما حدث. عندها الآن صديقة. بل صديقان، فبولتن تشارلز هو صديق أيضاً برغم ما يريد، وهو يعتقد أنها جميلة جداً.

مساء الثلاثاء التالي، اصطحب بولتن ترنتون مع صديقه

لمشاهدة فيلم. بعد ذلك أمضى صديق ترنتون الجديد الليل في منزل ريفير. دخل بولتن الى البيت، وقد كان مرتاحاً ومنهمكاً في التفكير. سأل بولتن عما اذا زارتها أندريا فورست. وعندما حصل على رد ايجابي أخذ يتحدث باهتمام عن المرأة. وافقت كلاريس على وصف بولتن بأنها مرحة وودودة، وأنها مليئة بالحيوية. لم يسألها بولتن اذا ما قررت أن تذهب نهار الأحد. ولكنه قال انه سعيد بأنها هي وأندريا قد اتفقتا.

قال بحزم: «سوف تكون رفيقة جيدة لك.»

ابتسمت كلاريس: «نعم، ويجب أن أشكرك لأنك عرفتني بها.»

رفع يده غير موافق، ونهض لينصرف. بعد انصرافه، وجدت أنها تمنت له أنه بقي لفترة أطول.

نهار الخميس ظهر بولتن لحضور مباراة البيسبول بينما كان الفريق لا يزال يتحضر للعب، وبقي حتى انتهاء المباراة. خسر فريق ترنتون. ولكن ترنتون لعب بطريقة جيدة لدرجة انه لم يتضايق كثيراً للخسارة. بعد المباراة أخذ بولتن عدداً من الأولاد ليتناولوا المثلجات، في محل صديق تعرف به مؤخراً. وعندما أعاد ترنتون الى البيت أنزله أمام المنزل، وانتظر حتى دخل ثم انطلق. بكل حزم أبعدت كلاريس خيبة الأمل التي شعرت بها إلى أن استلقت في سريرها، وتركت نفسها ولأول مرة تحلم بما قد يحصل.

لم يستغرق الأمر وقتاً كثيراً حتى أدركت أنه حتى في أحلامها هي وبولتن لا يتلاءمان. هي ليست مستعدة لتكون زوجة كاهن... ولكنها لسوء الحظ لا تعرف ماذا تريد ان

www.liilas.com/vb3

تكون. حاولت جهدها أن تكون الزوجة التي يريدها والد ترنتون، ولكنها لم تكن سعيدة في الوقت ذاته. كانت تدرك أنه لم يكن راضياً عن جهودها أيضاً. لقد أقنعت نفسها طوال السنوات الماضية، بأنها على الرغم من فشلها كزوجة، كانت أماً صالحة.

طبعاً، لقد كانت دائماً مخلصة مع ابنها، ولكنها لاحظت أن الإخلاص ليس الشيء الوحيد الضروري لأي صبي حتى يكبر.

لم تكن الأم الناجحة بتفوق أيضاً... ولكنها تستطيع أن تكون، كانت تعلم ذلك.

خلال فصل الخريف سوف تسلك طريقاً مختلفاً كلياً. لم تعد تريد أن تعيش على هبات وليز ريفير. آه! لو أنها تستطيع أن تحدد الإتجاه الذي ستسلكه. رددت دعاءات طويلة وبائسة وهي تفكر بذلك. شعرت بالراحة، وخلدت إلى النوم وهي تفكر في ذلك.

صباح الأحد، لبست كلاريس فستاناً فوقه سترة أنيقة ذات أسلوب أميري. كانت السترة بكمين قصيرين مع ياقة مبتكرة. كانت أنيقة وهادئة. اللون الأخضر الناعم أظهر الاحمرار الفاتح في شعرها الشاحب والظلال فوق عينيها. عندما لبست جوارب وانتعلت حذاءً مناسباً وملائماً مع الألوان، أحست بأن الثوب جعلها تتحسن لدرجة أنها أحست بالغبطة برغم اعتراض وليز على ذهابها إلى الكنيسة. وعدته بأنها سوف تنضم إليه لتلاوة التراتيل المعتادة والصلاة لاحقاً خلال النهار. لكن هذا الصباح أخبرته بأنها هي وترنتون سوف يحضران القداس في الكنيسة. عندما

حاولت أن تقبله على خده في محاولة لتلطيف مزاجه، أبعد رأسه بعنف، وطلب منها الخروج بكل وقاحة. فعلت ذلك ولم يؤثر هذا على فرحتها لإقدامها على هذه الخطوة.

كان ترنتون ينتظر في الردهة وكتابه المجلد مطوي في جيب سترته بشكل غير مرتب.

أطلقت كلاريس صوتاً خافتاً، وسحبت الكتاب من جيبه ووضعته بين يديه، وسوّت شعره بإصبعها. تراجعت إلى الوراء ونظرت إليه. لاحظت أن كمي سترته ليسا طويلين كفاية. خصر السروال كان محكماً وضيق التفصيل أيضاً. عليها أن تشتري بدلة جديدة ومعلوماتها كانت محدودة في هذا المجال. الإستقلالية لها سيئاتها. تساءلت إذا كان في الإمكان توسيع البدلة، وقررت أخيراً أن تترك الأمر لتيريزا.

اجتازت البيت لتصل إلى المرأب. جاك البستاني الذي يعمل دواماً جزئياً كان في المرأب يصلح عربة. لقد اعطته كلاريس الإذن بأن يبقيها هنا بدل وضعها في آخر الحديقة في القبو. لقد كان القبو عميقاً، مما يصعب على الرجل العجوز اخراجها وإدخالها.

لقد طلب جاك الإذن من وليز، لكن وليز رفض طلبه. غير ان كلاريس قررت انه طالما لا يعرف وليز بالأمر فلن يؤذيه، وهو لا يحضر إلى المرأب أبداً. المرة الوحيدة التي خرج فيها من المنزل، أمر بجلب سيارة «الفان» حتى المدخل الأمامي بحيث يصل إليها وهو على كرسيه. ابتسمت لجاك وهي تضع ترنتون في المقعد الأمامي.

«تعمل يوم الأحد، يا جاك؟»

www.liilas.com.vb3

توقف الرجل عن العمل: «إنني أذهب نهار السبت إلى الكنيسة. يا سيدة كلاريس.»

اعترفت بخجل: «لقد نسيت.»

قال بلطف: «لا يهم. والآن إلى أين انتما ذاهبان بهذه الملابس الجميلة؟»

«شكراً يا جاك، إننا ذاهبان إلى الكنيسة.»

بدا مصدوماً: «اعتقدت أن السيد وليز لم يعد يحضر المراسيم.»

قالت بصراحة: «لا، انه لا يحضر.»

حدق جاك العجوز، ثم هز رأسه وهو يضحك وقال: «أخيراً، لقد حان الوقت أيضاً. بعد فترة قصيرة سوف تتركيننا وتمضين إلى حياة أفضل على ما أعتقد.»

قالت بخفة: «أعتقد أن الوقت ما زال مبكراً.» واتجهت نحو السيارة.

«لا، انك تملكين هذه النظرة، نظرة امرأة ذات هدف. وقبل أن تلاحظي ذلك، سوف تجدين نفسك مغرمة.»

توقفت كلاريس ومفاتيحها بيدها: «ما الذي جعلك تقول هذا؟»

ضحك بخفة: «هذه حال الدنيا. هذا أمر طبيعي لفتاة جميلة حاولت أن تدفن نفسها مع زوجها. لم يكن ذلك قراراً سليماً، ولكن الآن انظر إليك. لقد بدأت تعيشين من جديد يا سيدة كلاريس. انك مستعدة لتجعلي نفسك سعيدة من جديد. الحب سوف يأتي بشكل طبيعي.»

الحب؟ الفكرة بحد ذاتها هزتها حتى أطراف قدميها. هل يعقل أن تسلم استقلاليتها غير التامة أصلاً الى رجل آخر؟

هل من الصواب أن تضع نفسها تحت رحمة مستبد آخر؟ مستبد؟ هل كان زوجها هكذا بالنسبة لها؟ أو أنها تربطه إلى ولز لدرجة أنها لم تعد تفرق بين الإثنين؟ أبعدت هذه الفكرة عن رأسها. الحب وهم. انه مصيدة. كل ما يهمها الآن هو تأمين حياة سعيدة لها ولابنها. هذا كل ما يجب أن تفكر فيه الآن. أحكمت قبضتها على المفاتيح، ورسمت ابتسامة على فمها. قالت وهي تمازح الرجل العجوز:

«لم أعتقد يوماً أنك من النوع الرومنسي، وكل هذا الكلام عن الحب يؤخرني عن الذهاب.»

قال وعيناه تلمعان: «لا أريد أن أفعل ذلك. فالكنيسة مكان جيد لتجدي الرجل الجيد فيه.»

كادت كلاريس أن توقع مفاتيحها وهي تحاول ادخالها في قفل السيارة. الرجل الجيد؟ هل يمكن لهذا العجوز أن يعلم ويعرف...؟ لا، طبعاً لا، يا لها من فكرة سخيفة لم يكن هناك ما يعرفه عنها وعن بولتن تشارلز. لقد كان صديقاً. المعانقة لا تعني شيئاً. ولن تتكرر مجدداً. انها ليست ذاهبة الى الكنيسة لتراه. انها ذاهبة من أجلها ومن أجل ابنها. انها ذاهبة من أجل أندريا فورست. ذاهبة لأجل ايمانها. لأن هذا عمل جيد، ولأن العبادة والتثقف شيء سليم. انها ذاهبة لأن هذه أول خطوة سليمة في طريق استقلاليتها، لتستعيد حياتها وحياة ابنها. أدارت المحرك واستعدت لتنطلق. الحب غير وارد الآن، وفي الحقيقة لم تعتقد أنه كان يوماً.

كان يقف على الرصيف، عندما توقفت السيارة في محاذاته. مظلة خضراء وصفراء كانت تحميه من المطر الخفيف الذي كان يتساقط من السماء الرمادية. ضحك،

www.liilas.com

وابتعد عن الطريق عندما قفز صبيان شعرهما أحمر ووجههما منمش من سيارة قديمة كانت أمام سيارة كلاريس. ركضا نحو المقعد الأمامي للسيارة، وفتحا الباب. بينما حاولت امرأة حامل ذات شعر ذهبي أن تترجل من السيارة. وضع يده تحت مرفقها ليساعدها، رافقها بولتن لتمر فوق حافة الطريق، وانتظر حتى فتحت مظلتها لتحمي نفسها من المطر. تزاحمت المظلات على الرصيف فاستقامت المرأة في مشيتها واتكأت عليه. فتح السائق شباك السيارة وأخرج رأسه ذا القصة العسكرية، وقال: «أيها الأب، لو كنت مكانك لانتبهت لأن من الممكن أن يكون ذلك معدياً.»

صرخ بولتن وهو يجاوبه: «ما هو المعدي؟»

صرخ الرجل: «التوأمان.» ثم أدخل رأسه، رفع شباك سيارته وهو يضحك.

فغر بولتن فمه وهو ينظر الى بطن المرأة المنتفخ. رأتها كلاريس تضحك وتهز رأسها مؤيدة ما قاله زوجها. أخفض بولتن مظلته، ووضع ذراعيه حول كتف المرأة. دفعته بعيداً وهي تضحك، مظلته الصغيرة لم تستطع حماية جسمها الكبير من المطر. بعد دقائق تركها، وأتى ليساعد ترنتون.

قال: «آسف على التأخير.» صوته المشوب بالضحك كان مشرقاً بطريقة لم تسمعها من قبل. رفع نظره نحو السيارة التي توقفت أمام سيارة كلاريس ثم أبعد ترنتون عن السيارة: «هيا، يا ترنت، انطلق وانتبه لهذه البركة الموحلة.» ثم أغلق باب السيارة.

أحست كلاريس بامتعاض فوري. انه لم يسأل حتى اذا

كانت تريد البقاء أم لا. لم يعرها اهتماماً. راقبته وهو يقود ابنها الى الرصيف، ثم الى مكان جاف تحت أحد السقوف المعلقة.

أشار ترنت نحو السيارة، ثم استدار ليسرع الى داخل المبنى. وقبل أن تجدها نظرات بولتن، أدارت السيارة واتجهت نحو الموقف وعجلاتها ترشش رذاذ المطر على الجانبين.

لبضع ثوان فكرت بالانعطاف يميناً، ولكنها في اللحظة الأخيرة، أوقفت سيارتها في مكان شاغر. بولتن تشارلز ليس له أي دور في اختيارها الذهاب الى الكنيسة هذا الصباح. حتى لو تجاهلها فهذا أفضل لها.

تجاهلت مشاعرها المتألمة. بحثت عن مظلتها الصغيرة التي اعتقدتها موجودة تحت مقعدها، ثم تذكرت أنها وضعتها في صندوق السيارة في بداية فصل الصيف. تأوهت، وانكبت على المقود، علّها تهتدي إلى طريقة ما. ربما هذه غلطة. ولكنها لن تغرق لو خرجت وفتحت الصندوق لتحضر المظلة. لا، ولأن الكل سوف يراها وشعرها مبلل وملتصق برأسها. كانت تعلم أن واحداً من بين الجميع لا تريد أن يراها هكذا. انه بولتن تشارلز. رفضت هذا الشعور الخطير بسرعة.

قررت أخيراً، فأخذت المفاتيح بين يديها، ووضعت محفظتها تحت ابطها، ودفعت الباب لتخرج. كان المطر المنهمر يكوّن بركاً على الاسفلت. أخرجت رجلها الى الخارج، لتتجنب واحدة من هذه البرك. شعرت بتنورتها ترتفع الى الأعلى وأخذت ترتفع أكثر فأكثر وهي تحاول

www.liilas.com/vb3

الخروج من السيارة. لكنها لم تهتم لأنها اعتقدت أنها وحدها، لا أحد يراها إلى أن وقف بولتن تشارلز فجأة أمامها.

للحظة، وبينما المطر ينهمر فوق رأسها، بدت كلاريس مصدومة لدرجة أنها لم تعد تستطيع الحراك. ولكنها لاحظت أنه يتأملها، فانزلت طرف تنورتها واستدرك هو الموقف محاولاً أن يساعدها لتخرج من السيارة.

«دعيني أن...» ولكنها دفعته عنها، ووقفت بسرعة غير مبالية اذا ما وضعت رجليها في الوحل أما لا.

قالت بوقاحة: «يمكنني أن أفعل ذلك بمفردي.» ولكنها سمعته يضحك. أرادت أن تضربه بقبضة يدها، ولكن صوته كان ذا نبرة خاصة. نظرت اليه لترى عينيه تلمعان.

سألها: «ما الذي يحرجك؟ لديك ساقان رائعتان.»

لم تؤثر بها وقاحة هذه الملاحظة بقدر ما أبهجتها. وبرغم أنها أحست بالحرارة تتصاعد على وجنتيها، قاومت رغبتها في الإبتسام. استدارت نحو الصندوق وقالت بحدة: «لا علاقة لساقيّ بالأمر.»

مسرورة لأنه لم يقترب كثيراً. قال: «حسناً، إننا نحملها لمثل هذا الطقس.»

سألت وهي تدير المفتاح في الصندوق: «نحمل ماذا للطقس؟»

فتحت الصندوق، وكاد حديد مظلة بولتن يحفر غطاءه. أبعدها قليلاً حتى لا يخدش الدهان وقال: «مزاجك سيىء اليوم.»

استدارت نحوه: «عفواً، انني لست...»

لكنها كانت في مزاج سيىء فعلاً. ولم يكن هناك ما تنفيه. برغم ذلك كان يبتسم لها بطريقة حميمة ورقيقة، مما جعل قلبها يخفق بسرعة، وجعل امتعاضها يتبخر كالدخان. قالت معتذرة: «انك على حق أنا آسفة.»

«لا داعي للإعتذار. انني سعيد لأنك استطعت المجيء.»

هزت رأسها، وأخذت تبحث عن المظلة.

سألها بخفة: «هل ضايقك وليز؟»

«نعم، ولكن هذا لا يهم، يمكنني أن أعالج وضعي معه.»

قال: «لم أشك بذلك ولا للحظة.» هذا ما كانت تريد أن تسمعه.

غاضبة من نفسها قالت: «لا أريد أن أتأخر عن الدرس.»

أقفل الصندوق وقال: «سوف نركض.» وضع يده حول خصرها. «ابقي قريبة مني» بقيت قريبة منه، ودخلا الى الكنيسة الهادئة. كان قلبها يخفق بشدة ليس بسبب التعب وحده. ولأول مرة ادركت أن من الغباء تجاهل ذلك.

www.liilas.com.ws

الفصل السادس

دفع صوت المضرب المدوي نصف الجمهور إلى الوقوف على قدميه. لكن الكرة سقطت مباشرة في قفاز ترنتون. لم يرفع الضارب رأسه حتى صرخ الحكم: «في الخارج.»

جلست كلاريس على المدرج وهي راضية. هذا الصبي يملك موهبة عظيمة. الكل قال ان الصبي سيصبح لاعباً محظوظاً، صبي بهذه الجدارة يعتبر احتياطاً واعداً لأي فريق.

اسمه سوف يوضع على لائحة اللاعبين المحترفين وكل عضو في الفريق، سوف يصنف حسب مرتبته في نهاية الموسم. إنها الطريقة المثلى لتصنيف المواهب الحقيقية. قال بولتن ان موهبة ترنتون موهبة نادرة جداً. ولقد قال أيضاً ان من النادر أن يكون هناك عدد كاف لكل فريق ليختار بالقرعة. لذلك يبقى الفريق الأول بدون حظ في الاختيار. لقد قال ترنتون انه لا يهتم مع أي فريق سيلعب. المهم انه يريد أن يلعب هذه اللعبة.

لقد أحب وتقيد بقواعدها. لم يفوت أي تمرين، لم يتذمر من الحر أو التعب، أو الوسخ، أو من الجروح في ساقه. لم يكن عليها ان تطلب منه أن يلبس لباس الفريق أو ان يلين قفازه. بدا جلد يده يقسو بسبب القفاز وضربات الكرة المتكررة. رأته يلعب بالمضرب حتى يتعب لدرجه أنه لا

يعود قادراً على رفع يده. لم يحلم يوماً بأن يتركها، تماماً كما لم يحلم بأن يترك التنفس. ولكن اهم ما في الأمر، هو أنه لم يتفاخر يوماً ولم يكن يعتد بنفسه أكثر من اللازم، ولا يتبجح بقدراته. يتقبل كل كلمات الإعجاب والمرح بصمت وهدوء، ثم يتحدث عن التحسين. دائماً يتحدث عن التحسين.

أن يكون المرء برفقة موهبة كهذه، فهو أمر مربك ومخيف بعض الشيء. المرء يمكن ان يتوقع الإحتمالات المستقبلية، وكل ما يمكن أن يضع حداً لموهبة كهذه. إصابة، أو اداريون أو مدربون عديمو الضمير، حسد وحقد من الرفاق، ضغط شديد، إرهاق... أي شيء من هذا القبيل يمكن أن يضع حداً لما قد يكون مهنة رائعة.

عليها ان تختار القرار المناسب له، ان توازن ما بين التشجيع والدعم والدفع. لقد شعر بولتن بذلك أيضاً. يمكنها أن تلاحظ ذلك. منذ فترة قصيرة تناقش معها في أمر انضمام ترنتون إلى دورة الربيع.

اعترف بعد أن أخبرها برغبة ترنتون بالإنضمام. «لا أعرف ما هو الأنسب.» ثم أضاف: «من جهة أخرى، لا أريد ان أرى ما يمنعه من اللعب طالما أراد ذلك. ولكن اعتقد ان عليه ان يجرب كل انواع الرياضة ايضاً. إنه بطل في المصارعة، ونجم لامع في البيسبول. لماذا لا يجرب كرة القدم، كرة السلة، الركض؟ لقد لاحظت انه يملك ميزة التركيز والسرعة، والإنضباط لكرة المضرب، أيضاً.»

اقترحت: «ربما علينا أن ندعه يقرر هو بنفسه.» ولكن بولتن هز رأسه غير موافق.

www.liilas.com.vb3

«إنه لا يزال في التاسعة. لا يملك المعلومات والخبرة ليتخذ مثل هذا القرار. يحق له ان يقول ماذا يفضل، ولكن كيف يقرر ما يفضل، وهو لا يملك الخبرة، أو يعرف كل الإحتمالات؟»

تنهد وفرك عنقه بيده. لقد كانت تريد ان تقوم هي بذلك، ولكنها ظلت مكتوفة اليدين حتى أضاف: «من جهة أخرى، يمكن ان تكون غلطة. وهكذا قد نرهقه، ربما عليه ان يركز على هدف واحد. إنني لا اعرف بكل بساطة.»

اعترفت بصراحة: «ولا أنا.»

عندئذ اقترح أن يأخذ برأي أحد الخبراء: «إنني أعرف المدير الرياضي في احدى المدارس. سوف اتكلم معه، وأعرف ما رأيه في الأمر.»

في الصباح التالي كان المدرب الرياضي نفسه يجلس بالقرب من بولتن. عندما اتصل به بولتن، علم أن كارل غالوب كان في مارلو لزيارة بعض الأقارب. مارلو تبعد مسافة ربع ساعة. وأصر كارل على إلقاء نظرة بنفسه.

كان رجلاً جديراً بأن يحب. إنه ودود، ولكنه صارم ومتشدد إلى حد بعيد. لم تعرف كلاريس لماذا لم يرق لها كل هذا. لم ترق لها نظراته الفضولية التي كان يرمقها بها وبولتن. هذه النظرات كانت تتضاءل ما أن تبدأ المباراة. كل نظراته نحو بولتن كانت مليئة بالرهبة إذا لم تكن مخطئة. لم تكن تستطيع أن تنتظر حتى نهاية المباراة لتعرف ما سيقوله عن ترنتون وموهبته.

لم تنتظر طويلاً فالمباراة كانت في نهاية الجولة الأخيرة عندما التقط ترنتون الكرة. وبعد دقائق سجل فريق ترنتون،

ترايندس، رقماً إضافياً. بقي بولتن وكارل على المدرج المكشوف يتكلمان.

ذهبت كلاريس للقاء ابنها. لقد أصبح الذهاب لتناول البوظة أمراً طبيعياً للفريق. وبمناسبة الفوز هذه الليلة كان المدرب هو الذي دعاهم. وافقت كلاريس على ذهابه، ولكنها طلبت إليه أن يذهب قبل ذلك، لمقابلة بولتن ورفيقه. ذهب بطريقة سليمة ولكن سرعته كشفت شوقه للذهاب إلى محل البوظة.

ما ان تم التعارف، وبعد ان قام بولتن وكارل بالإطراء على الفريق، عاد ترنتون إلى فكرة البوظة المسيطرة في رأسه.

سأل: «هلا ذهبت أنت وبولت وأحضرتماني من محل البوظة؟»

ابتسم بولتن وربت بخفة على كتفه وقال: «أود ذلك.»

نظر نحو كلاريس متسائلاً وكذلك ترنتون. لقد كانوا في حاجة لسماع رأي كارل غالوب.

قررت بصوت عال: «بالطبع سنوافيك بعد دقائق قليلة.»

ابتسم ترنتون بفرح وهرع لملاقاة رفاقه، شاهدته كلاريس يذهب، وتساءلت متى رأته بهذه السعادة وخالياً من الهم، ربما أبداً.

عندما اختفى الصبي عن النظر، قال كارل: «إنه يملك موهبة عظيمة. لم أر أحداً في عمره يملك موهبة كهذه. قلت لي انه مصارع، أيضاً؟» تابع كلامه عندما توافقا على ذلك: «التدريب الجيد قد يفيده، ولكن ليس هذا ما قد أختاره للصبي مع قدراته. أفضل شيء هو ان تدعاه يقرر. نصيحتي

www.liilas.com/vb3

هي أن يجرب كل أنواع الرياضة، ثم تدعاه يركز على ما يريد. على الأرجح أنه سوف يستقر على رياضة واحدة، أو ربما نوعين، ويفقد اهتمامه بالبقية. وأعتقد انه سوف يختار رياضة جماعية إذا كان ذا طبيعة مرحه كما قلت، ولكن عندما يستقر، تأكد من أنه سوف يبقى فيها. موهبة كهذه نادرة. إذا قرر ان يبقى في المصارعة، يا سيدة ريفير، تأكدي من أن مدربه سوف يبقيه في الصف المناسب، وليس في صف أقل من قدراته. هذا تدبير محبب من قبل المدربين، ولكن هذا يخفف من نمو الصبي إذا ما استهلك إلى الحد الأقصى.»

وعدته: «سوف أتذكر ذلك، شكراً جزيلاً لأنك اعطيتنا من وقتك ما يكفي لتتكلم معنا.»

قال: «لا مشكلة، فأنا لم أحظ بفرصة للقاء البولت منذ أن لعب في الكلية.» ثم ربت على كتف بولتن: «هذا الصبي يملك موهبة تماثل موهبتك، كأنه ابنك ايها الصديق.»

تحوّل نظر بولتن نحو كلاريس عندما قال كارل ذلك، ولكنها نظرت بعيداً، خائفة من أفكارها حتى لا تظهر في عينيها. نهض بولتن مع كارل، وتسلق الثلاثة المدرج.

قالت كلاريس: «هل تحب أن تشاركنا في تناول المرطبات يا سيد غالوب؟»

«لا، شكراً. تركت عائلتي في مارلو!»

سأل بولتن عندما توجهوا نحو الموقف: «كيف حال والدتك يا كارل؟»

قال كارل: «لم تكبر يوماً واحداً منذ ثلاثين سنة. هل تصدق انها تزوجت مجدداً، وهي في هذا العمر؟ اعتقد أن

الزوج أصغر منها بثماني أو عشر سنوات. أعتقد أنها بذلك تسيطر أكثر.»

ضحك بولتن: «أوافقك. قدم لها أحر التهاني لو سمحت، شكراً مجدداً يا كارل.»

«أنا تحت الطلب في أي وقت.»

ودع الإثنان بعضهما، ثم عبر كارل العشب إلى سيارته الجديدة اللامعة. لقد كانت سيارة رائعة، صفراء، شعار فريقه الرياضي مرسوم على أبوابها. لا يمكن لأحد أن يشك بإخلاصه. انتظرت كلاريس حتى ابتعد، ثم القت نظرها نحو بولتن.

تساءلت: «البولت؟»

ضحك بولتن، ماذا دهاه لقد كان خجلاً. حك أذنه وشرح لها: «هذا نوع من اللقب، الرياضيون مولعون باطلاق أسماء خاصة بهم.»

«آه... ماذا فعلت بالضبط لتنال هذا اللقب؟»

«أحد المعلقين الرياضيين أطلقه علي، لقد كتب شيئاً عن ردات فعلي على أنها سريعة كالبرق.»

قالت وهي تتلذذ بمضايقته: «أتعتقد أن السيد غالوب قال شيئاً آخر جعلني أتساءل؟ قال ان ترتنون يملك موهبة تماثل موهبتك. هذا يعني الكثير أليس كذلك؟ يعني أنك كنت ممتازاً وبارعاً.»

نظر إليها للحظة طويلة: «قلت لك انني كدت أحترف اللعب، لقد كنت انوي ذلك حقاً.»

قالت: «ولكن عندما حان الوقت...»

ضحك قائلاً: «إنك تعرفين ذلك، عندما حان الوقت، لاحظت انني لن أكون سعيداً إلا ككاهن.»

www.liilas.com.vb3

سألت بلطف: «ألم يحاول أحد إقناعك بالعكس؟»

رفع كتفه: «طبعاً، كارل فعل ذلك، وكارول أيضاً لوقت قصير.» ابتسم بوهن وتابع: «اعتقدت أنها ستتزوج من رياضي المليون دولار، ولكن عندما فهمت اهمية الكهنوت بالنسبة لي، لم تعارض، بل وقفت إلى جانبي. لقد بدأت العمل عندما كنت في المعهد الكهنوتي.»

فوجئت كلاريس: «لم أكن أعرف ذلك.» لسبب ما لم تفكر بزوجة قس تعمل خارج منزلها. من الممكن أن تكون الأمور تغيرت أو أن بولتن تشارلز رجل أكثر من عظيم، أو ربما الإثنان معاً.

أومأ برأسه: «لقد كانت معلمة مدرسة، ومعلمة جيدة أيضاً. كانت تحب كل دقيقة من عملها. عملت حتى قدومنا إلى هنا. كنا ننوي ان ننجب اطفالاً... طبعاً لم نفعل.» نظر بعيداً، ولكن ليس قبل ان تلمح الألم في عينيه العميقتين.

أرادت أن تؤاسيه. كانت تدين له بذلك. وضعت يدها فوق ذراعه وقالت: «آسفة.» أبعد يدها. لقد أحس بالحرارة كأنها نار حامية.

قالت: «ترنتون ينتظرنا، هل نذهب في سيارة واحدة أم سيارتين؟»

أجابها بسرعة ضاحكاً: «لنذهب في سيارتك وندع السقف مكشوفاً.»

ضحكت: «حسناً، هل تريد أن تقود؟»

«آه، أجل. إعتقدت أنك لن تطلبي ذلك أبداً.»

ضحكت مجدداً وهي تشعر بالخفة والشباب. ولسبب ما كانت تشعر بالقوة. إنه يشعرها بهذا دائماً وهذا يخيفها.

فكرت بما قاله عن إنجاب الأطفال، وفكرت بما قاله كارل غالوب، بأن ترنتون يملك موهبة بولتن كأنه ابنه. واعترفت انها تمنت لو ان ذلك صحيح. فكرت بذلك الآن، لاحظت ان بولتن تشارلز يعامل ابنها كما لو كان والده الحقيقي. وهي مثل ابنها في حاجة إلى بولتن تشارلز، وهذا كان أكثر الأشياء رعباً.

زاد بولتن من سرعة السيارة، وضحك عندما أخذ نسيم الليل يداعب شعره. غرقت كلاريس في مقعدها وهي تلتقط شعرها بيدها.

بعد قليل، خفف من السرعة لينعطف. استقامت في جلستها، ولم تترك شعرها. ملكة الاناقة، فكر وهو يقود. كانها لن تبقى جميلة لو أنها كانت صلعاء مثل كارل غالوب. ضحك بينه وبين نفسه، الرجل المغرم هكذا يفكر، وهو أكيد مغرم، ولكن من الواضح انه غرام من طرف واحد. لم يستطع مقاومة رغبته في إلقاء نظرة نحوها، وهو يتمنى لو يتغير شيء في هذه الدقائق المعدودة. لقد أخطأ. فمن الواضح ان شعوره كان واضحاً في عينيه، ففي اللحظة التي لاحظت ذلك، ذعرت واتسعت عيناها كعيني غزال طريد. نظر بعيداً على الفور، وهو نادم على غبائه.

لماذا لا يكف عن ملاحقتها؟ فهي لا تريده بهذه الطريقة. يعلم انها معجبة به، ولكن هذا اقصى اهتمامها به. حتى مجرد التلميح بشيء من لواعجه يزعجها كثيراً. لقد أكثر من الدعاء طالباً الحكمة والقوة ليحصل تغيير في عواطف احد منهما. برغم كل شيء، لم يستطع ان ينسى ان والد ترنتون فاز بها بعد إصرار طويل. ولكنها انسان، امرأة، طفل لها

www.liilas.com

قلب وروح وعقل وحياة خاصة بها. وإذا لم تكن من نصيبه... الفكرة كانت تسبب ألماً شديداً له.

بدا الصمت ثقيلاً للغاية. أدار المذياع. لقد كان هناك شريط في المسجلة. امتلأ الليل بالحان معزوفة تشايكوفسكي «كسارة البندق.» كانت الموسيقى حيوية تتضخم وتتعالى. ارتاحت نفسيته، ملأته بالسعادة. ابتسم لنفسه، متسائلاً إذا كانت هذه معزوفتها المفضلة. هو يفضل «١٨١٢ الإفتتاحية» ولكن هذه كانت رائعة، هادئة، هادئة جداً. نظر نحو السماء شاكراً، وتأمل السماء المليئة بالنجوم. وعلى الفور ابتسم لكلاريس محاولاً مشاركتها هذه اللحظة السعيدة. ركز على القيادة، لم يجرؤ على التعبير عن الألم والشوق في داخله.

هل كان يشعر بذلك مع كارول؟ أو هل كانت كارول من الأشخاص الذين يسهل التقرب منهم؟ ولكن كارول كانت تحبه. كم هو يتوق إلى الحب. كم يتمنى ان تحبه كلاريس ريفير.

وصلا إلى محل المرطبات. أوقف السيارة إلى جانب الطريق، فرح لأن الموقف الصغير كان مزدحماً بالسيارات. لقد كان مولعاً بآل غيلز. كان يشعر بالسعادة لأن عملهم يسير بشكل جيد. قفز من السيارة، وأسرع ليفتح الباب لكلاريس. لقد كانت منهمكة باصلاح شعرها. قاوم رغبته في عناقها وإخبارها بأنها جميلة، ولكنه بدل ذلك انتظر بصبر حتى انتهت. عبرا الشارع ودخلا إلى المحل. وايت غيلز كان يحضر بمهارة علبة بوظة خلف الثلاجة.

لاحظ وجودهما على الفور: «أهلاً. لقد تأخرت علينا.»

لوّح له بولتن: «كيف حال تراسي؟»

قال وايت بسعادة: «انها حامل! يقول الدكتور ان عليها أن ترتاح، لذلك أنا والصبيان نأخذ مكانها.»

«أحسنت فعلاً. سوف تخبرنا إذا كنا نستطيع مساعدتك، أليس كذلك؟»

«راهن على ذلك.» ثم عاد إلى عمله. الصبيان كانا يلعبان برمي قطع الكعك على بعضهما محاولين التقاطها بفمّيهما. يعلم بولتن ما مدى المساعدة التي يقدمانها. كانا شقيين، ولكنه يحبهما كما يحب والدهما.

وقف هو وكلاريس وراء الناس، وأخذا يتمعنان بالإصناف الموضوعة فوق البراد. بعد مناقشة هادئة استقرا على اختيار علبة منفا كبيرة مع بسكويت، وكوب من عصير الأناناس لها. قبل أن يتلقى وايت طلباتهما، عرفه بولتن على كلاريس، وتحمل الممازحة، وحركات الحواجب المتسائلة التي وجهها وايت.

فقال له بولتن في النهاية: «هل تريد أن تزعجني أم تحضر لنا البوظة؟»

ضحك وايت بخفة، وخاطب كلاريس: «أحب أن أفرح وأضايقه.» واقترب ليقول كأنه يتهامس عليه: «لا يريد ان ينسى انني غلبته وتزوجت من تراسي.»

نظر إليه بولتن وشعر بالحرارة تتصاعد من صدره. لماذا تزعجه مضايقات وايت بعد كل هذا الزمن؟ ربما السبب يعود إلى نظرة كلاريس الحادة. يا للهراء! بحث عن جواب ذكي، ولكنه لم يجد. فنظر نحو وايت نظرة حادة وغاضبة.

وقال: «اعطنا كوباً من عصير الأناناس.»

www.liilas.com/vb3

تجمدت ضحكة وايت، ولكنه احنى رأسه وأستانف عمله. شعر بولتن برغبة في أن يركله، وشعر بالإمتنان لوجود الثلاجة حاجزاً بينهما. لقد كان يتصرف كالأحمق، وكان يعلم ذلك. عندما أخذ الكوب من وايت وقدمه لكلاريس رأى نظرة غريبة. هل يمكن أن تكون نظرة اتهام. استدار نحو وايت وطلب ما يريد. بعدئذ أخرج محفظته ليحاسبه.

قال وايت بصوت أجش: «أوه، أخرج، مالك غير متداول.»

«لا تكن سخيفاً.»

أشار وايت إلى الخارج، وهو يبتسم بمحبة واضحة: «أخرج.»

شعر بولتن بالندم وبالمحبة: «شكراً.»

لوّح وايت لهما وهما يخرجان، ثم استدار نحو الزبون التالي. اتجه نحو الباب وخرج إلى الباحة ليشاهد ترنتون ورفاقه هناك. أما كلاريس فكانت تشرب الأناناس وهي تسير إلى جانبه.

سألت ببساطة: «من هي تراسي؟»

كاد بولتن أن يتلعثم. ونظر إليها وقال: «تراسي هي زوجة وايت. وهي تتوقع توأمين بعد شهرين.»

خطت نحو الخارج قائلة: «يا الهي.»

تبعها بولتن محاولاً تلطيف الجو: «المدهش انهما انجبا توأمين في السابق.»

تعجبت: «مجموعتان من التوائم. يا إلهي، كيف تستطيع أن تتدبر امرها.»

«تراسي تستطيع أن تتدبر أي شيء.» شعر على الفور

بالقلق. توقف عن سيره عبر الطاولات ونظر إليها. وجهها كان جامداً وعيناها متألمتين.

«ما الأمر؟»

احنت رأسها وقالت: «كنت مغرماً بها، أليس كذلك؟»

كاد أن يوقع كوبه. هل هذه غيرة؟ آه أرجوك، إجعلها غيرة. أراد أن يضحك، أن يلف ذراعيه حولها ويحملها ويؤرجحها بفرح. أقفل فمه وبلع ريقه.

قال بصبر: «كلاريس، لم يكن هناك شيء. لقد قربتهما إلى بعضهما. إنها إمرأة عزيزة، صديقة. أحبها كما أحب كل رفاقي، وكما أحب وايت. إلى جانب ذلك، لست من النوع الذي يحبذ النساء المتزوجات.»

ارتبكت عيناها. رأى ندماً في العمق الأخضر في عينيها. ابتسمت بوهن: «لقد بدا عليك أنك تبحث عن أحد، هل تريد أحداً؟»

قال باختصار: «أجل أريد أحداً.» اتسعت هاتان العينان أكثر فأكثر. شعر بموجة أمل. هل حان الوقت؟ هل يستطيع الإفصاح والبوح؟ شربت الأناناس ونظرتها مركزة على كوبها. سحبت كرسياً لتجلس عليه، استدرك أنه في مكان عام، ماذا جرى له؟ استدار واتجه نحو الطاولة التي يجلس عليها ترنتون ورفاقه. تبادلوا التحيات وجلسوا، ولبعض الوقت جلس بولتن يستمع لتعليقات الأهالي والمدرب والأولاد. لاحظ أن كلاريس كانت هادئة، ولكن ترنت لم يكن كذلك أبداً. الطفل كان يتكلم بحماس لم يعهده بولتن هكذا، وهذا اسعده كثيراً. انتهوا أخيراً من تناول البوظة، في اللحظة التي أوشك فيها الاحتفال على الانتهاء عبروا

www.liilas.com/vb3

المحل إلى موقف السيارة. صرخ أحد الأطفال مودعاً ترنتون، فقفز إلى الأعلى ملوحاً. لقد اكتسب صديقاً جديداً. كان سعيداً وخالياً من الهموم. امتلأ قلب بولتن بحب وكبرياء أبويين. مهما حصل أو سيحصل أو لم يحصل، ترنت يقوم بعمل جيد، وصار له دور مهم مهما يكن هذا الدور صغيراً. لا ندم. لم يندم على أي شيء. هذا يعد نعمة.

بحث في جيبه عن مفاتيح كلاريس وناولها اياها. رفضت وهي تهز برأسها. لقد كانت غارقة في التفكير بعد المحادثة الخاصة عن تراسي غيلز ومشاعرها نحوها. أمسك المفاتيح بشدة وفتح باب السيارة. جلس ترنتون في المقعد الخلفي. جلست كلاريس في المقعد الأمامي. اغلق بولتن الباب واتجه ليجلس خلف المقود. كان ثمة شيء في رأسه، شيء أراد أن يناقشه طيلة المساء. شعر أن الوقت مناسب. على الرغم من ذلك ارتجفت يداه بشكل خفيف على المقود. عدل عن رأيه، الوقت غير مناسب. ليس من الضروري ان يسأل هذه الليلة. جبان، حسناً. الرفض لم يكن يوماً جميلاً. ربما يجب ان يدخل في الموضوع الآن.

عندها وقف ترنت في المقعد الخلفي، وانحنى إلى الأمام. واضعاً يداً خلف عنق بولتن ويداً خلف عنق أمه.

«لقد قال المدرب انني الأقوى الآن.» أكد ذلك وهو يشد ذراعيه.

لقد كان ذلك حجة ليحصل على عناق. كان الشد واضحاً، ولكن لم يكن مؤلماً، ولا حتى مقيداً. ابتسم بولتن وهو يمد يده إلى الخلف ليربت على ظهر الصبي مهنئاً: «إنك فعلاً قوي.»

استدارت كلاريس وقبلت ترنت من خده. ولدهشتها قبلها هو بالمقابل. لقد كانت ردة فعله عاطفية، علامة على الفرح الذي شعر به هذه الليلة، ربما لم يشعر بمثله في حياته. أمسك بولتن به بإحكام برغم المقعد الخلفي. إنه يحب هذا الطفل ولم يكن ليحبه أكثر حتى لو كان ابنه الحقيقي. رفعت كلاريس نظرها نحوه كأنها تريد ان تقول له ان الفضل يعود اليه. اراد ان يجذبها نحوه ليعانقها هي وابنها. وليقول لهما انهما عائلته. عائلته الحقيقية.

انزل يده، وثبتها فوق معصم ترنت الذي كان حول عنقه، ونظر نحو كلاريس وقال: «إننا نقيم احتفالاً خاصاً بعيد الإستقلال في الأسبوع القادم. نزهة في الخارج، ألعاب، موسيقى، وغيرها. بعد ذلك سوف نذهب إلى ملعب كرة القدم لنشاهد الألعاب النارية. أحب ان تحضرا ونمضي النهار معاً.»

دقات قلبه المؤلمة لم تتسارع إلا بعد ان انهى كلامه. انتظر لحظات، القت كلاريس نظرة نحو ترنتون الذي كان ينظر بثبات منتظراً ردها، ثم استدارت وابتسمت لبولتن: «يسعدني ذلك.» استخدم كل قوته حتى لا يصرخ فرحاً. توقف قلبه ثم ابتدأ من جديد بدقات ناعمة. نعم، نعم، أغلق عينيه شاكراً ثم تماسك. لقد قالت اجل للتنزّه، لا شيء أكثر. ولكنها البداية، اليس كذلك؟ لقد كان تقدماً في الإتجاه الصحيح. والآن ماذا؟ إلى أين؟

خطوة، خطوة، كل عقدة تحل في حينها. سمع صوت كارول ينصحه مرة اخرى ليبسط الأمور. ابتسم وانحنى إلى الأمام ليصل إلى المفاتيح. أصرت كلاريس بهدوء على

www.liilas.com/vb3

ترنتون بالجلوس، ووضع حزام الأمان. أطاعها، ولكن ليس بدون أن يقول: «أوه، ماما.»

استدارت كلاريس لتحدق به، ولكنها طرفت عينيها مرتين وثلاثاً واستدارت نحو بولتن. علم بالضبط بما كانت تفكر. أين ذهب ابنها العاقل المطيع؟ الجواب كان واضحاً. ابنها الهادىء المطيع بشكل غير طبيعي، كان يتحوّل إلى طفل طبيعي حقيقي. ابتسم بولتن وهز كتفيه، رفعت يداً نحو فمها، وأخذت تضحك. وبعد قليل، بدأ بولتن بالضحك وترنتون كان يحدق بهما كانهما فقدا عقلهما، وهو يتساءل ما الذي يضحكهما.

شرح بولتن: «إنها ليست ضحكات لسبب ما. إنها ضحكات سعادة. صدقني، ضحكات سعادة.» وأدار السيارة لينطلق. تمتم ترنتون بشيء غير مسموع، شيء طفولي، مما أعادهما إلى الضحك مجدداً. انعطف بولتن عند الزاوية وزاد من سرعته. بعد دقائق القى نظرة خاطفة على كلاريس. كانت جالسة بشكل مستقيم، رجل واحدة مثنية والأخرى ممدودة إلى الامام وذراعها على حافة الشباك، والأخرى ممدودة فوق مسند المقعد. وشعرها كان يتطاير مع الهواء، ضحك مجدداً، إنما هذه المرة كان شعوراً خاصاً به.

إذا كانت هذه القمة أعلى ما يمكن ان يصل اليه فلن يندم أبداً. ولكنه تمنى ان يحصل على أكثر، ولكن إذا كان هذا كل الرضى الذي سيحصل عليه، فهو كاف ليمنع الندم لبقية حياته. لقد قام بعمل جيد في المكان الذي اراد ان يكون جيداً به.

أحس بالقوة والحيوية شاعراً ان دعاءه قد استجيب. لقد كان هذا جيداً، ولكن ليس كل ما يريد. أخذ يفكر بهذه الأشياء بصمت، وهو يقود في طريق العودة. عندما اوقف السيارة امام ملعب البيسبول كانت الأضواء مطفأة. ضوء السيارة أنار الإشارات والطريق، وبانت سيارته المتواضعة «السيدان» التي سينتقل إليها. أوقف سيارة كلاريس المكشوفة، وأطفأ الأضواء بدون ان يطفىء المحرك.

استدار ليقول لترنت وداعاً، فوجد الصبي غارقاً في نوم متعب. همست كلاريس باعتذار: «لقد لعب كثيراً اليوم.»

أومأ بولتن برأسه، ومد يده إلى الخلف: «نعم. أتمنى ألاّ توقظيه من النوم عندما تصلان إلى البيت.»

همست بحزن: «إنه ثقيل جداً بالنسبة اليّ. لا أستطيع حمله.»

سمع بولتن نفسه يقول: «انه ليس ثقيلاً عليّ.»

نظرت بعيداً: «أعرف ذلك.»

إن حظه يخدمه جيداً، فكر بذلك، وهو يضحك بصوت خفيض، لم يؤمن بالحظ يوماً.

الإيمان؟ لا يؤمن بالحظ، برغم ذلك، فقد نصحوه بأن يأخذ كل الأمور خطوة خطوة. تنهد وفتح الباب ليخرج. فعلت الشيء عينه. التقيا أمام السيارة. كان المحرك يصدر صوتاً ناعماً منكراً إياهما بأن الوقت قصير. أخذ يدها وشد عليها.

«تصبحين على خير، يا كلاريس.»

«تصبح على خير.»

ودعها ومضى، بخطوات أحدثت وقعاً على الإسفلت

www.liilas.com/vb3

«بولتن؟» توقف واستدار ببطء. هل غيّرت رأيها؟ هل فكرت في سبب لتعتذر عن الحضور نهار الرابع من حزيران - يونيو؟ آه هل انا صاحب إيمان ضعيف. كل شيء له هدف. اقتربت في الظلمة.

«هل أحضر شيئاً للنزهة؟ دجاجاً مقلياً؟ نقانق؟ أنا أطهو كما تعلم. لن أمانع.»

ابتسم بارتياح: «هذا سيكون جميلاً. من حواضر البيت. أحضري اي شيء تريدين. ولكن اخبريني قبلاً، فانا لا أريد أن أفوت عليّ شيئاً.»

«حسناً. هل هناك شيء مميز تحبه أنت؟»

شيء مميز أحبه. فكر بذلك لدقيقة. «بيض بالتوابل. مليء بالكوليسترول والدهنيات. أحبها. إنني سعيد بأنني أعرف كيف أحضرها.»

ضحكت كفتاة صغيرة: «أنت تحب التوابل والفلفل. ألن تكون كعكة الملائكة مناسبة اكثر لك؟»

ضحك: «أعتقد ذلك. لم أفكر بهذا أبداً.»

«مع ذلك، بيض بالتوابل هو ما سأحضره لك.»

«إنني انتظر بفارغ الصبر.»

تركها وهي تبتسم له. ثم استدارت ومشت نحو السيارة. أضاءت المصابيح وانطلقت.

راقبها حتى اختفت السيارة قبل ان يخرج مفاتيحه من جيبه ويتجه إلى البيت. كل شيء له هدف. خطوة خطوة. عرف ما ستكون الخطوة التالية. النزهة القادمة لها هدف مميز. أحياناً النعمة تاتي بزخم ودفعة واحدة، تزيل كل خيبات الأمل والإرتباك في حياة الإنسان.

أحياناً الذهاب وحيداً إلى البيت يصبح أهون وأقل وحدة.

أحياناً الموعد يستحق المخاطرة، والحب أصبح ممكناً مرة أخرى. هذا كاف ليجعل الرجل سعيداً، حيوياً. هذا كاف ليجعله شاكراً ومتواضعاً ومليئاً بالأمل.

www.liilas.com/vb3

الفصل السابع

دفع بولتن نصف بيضة بالتوابل الى فمه، تذوقها، وتنهد وهو يمضغها. هزت كلاريس رأسها. وهي تشعر بالإثارة سراً وبالقلق علناً. وقالت: «هل أنت متأكد من أن عليك أن تستمر في أكل هذا البيض؟» نظر إليها نظرة غضب، ولكن الضحكة على ثغره ناقضتها، ثم ابتلع ما في فمه وقال: «هل أنت متأكدة من أن تيريزا لم تصنع هذه؟»

شهقت كلاريس: «بولتن تشارلز، ماذا تقول؟»

ضحك وعيناه الداكنتان تلمعان: «انها في غاية اللذة، وترنت يقول ان تيريزا أفضل طاهية في الوجود. ربما لا يعرف أمه جيداً.»

اتهمته: «أو ربما أنت تحب أن تضايق أمه.»

فكر بجدية وهو ينحني إلى الخلف، اسند مرفقه على طرف الكرسي: «انني أحب ذلك، فمن السهل مضايقتك. فأنت تأخذين كل شيء بجدية.» النبرة في صوته، بعثت شعاعاً من الدفء في داخلها.

نظرت بعيداً وهي تراقب الأولاد وهم يتدحرجون فوق العشب. أعلن ترنتون بفخر أنه سوف يقوم بعرض مصارعة. خافت كلاريس على ترنتون من الحرارة المرتفعة، ولكن ذلك لن يكون سيئاً هنا في الظل. ربما ما قاله بولتن كان صحيحاً، فهي جدية جداً. ابنها ليس الولد الوحيد الذي يلعب هناك. وكل الأمهات كنّ سعيدات. بولتن لن يصاب بذبحة

قلبية بسبب البيض مع التوابل والحر. برغم أنه لا يحب أن يتعود على ذلك. وهذا شيء لا يعنيها على أي حال. النظرة التي بانت في عيني ولبز عندما أخبرته أنها ذاهبة في هذه النزهة كانت عدائية، ولكن هذا لا يعني أن أحداً سوف يقتل. لقد وافقت على أن تذهب في هذه النزهة عندما دعاها بولتن وحتى أنها اعدت طعامه المفضل. ولكن هذا لا يعني أن هذا كان موعداً. أليس كذلك؟

تقدم رجل مسن نحوهم، وتحدى الكاهن بأنه سوف يغلبه بلعبة الحدوات. تأوّه بولتن وهو ينهض على قدميه.

«انني محشو بالبيض والحر يا سيب. من الممكن أن تغلبني.»

قال الرجل بطيبة: «انني أغلبك دائماً. سواء أكلت بيضاً بالتوابل أم لا.»

سأل بولتن كلاريس: «هل يبدو لك هذا احتراماً؟ الكاهن يجب أن يتلقى القليل من الإحترام.»

ضحك سيب بشكل متقطع: «انني أحترم الرجل الذي يرمي الحدوات بشكل جيد، وأيضاً المرأة الجميلة، إنني أحترم المرأة الجميلة جداً.»

انحنى بولتن لكلاريس: «أعتقد أنك تحظين بكل الإحترام إذاً؟»

وافق سيب وهو يغمزها: «طبعاً، تحظى السيدة بكل احترام ممكن.»

ضحكت كلاريس وهي مسرورة ومستهجنة معاً، وخاصة عندما غمزها بولتن أيضاً وأخبرها: «سوف أعود قريباً.»

www.liilas.com/vb3

هرعا ليلعبا بالحدوات. بعد أقل من عشر دقائق، عاد ترنتون راكضاً ووجهه محمر، وشعره ملتصق برأسه. قال: «أين بولت؟» وتناول كأساً من الليموناضة.

«إنه يلعب بالحدوات. أجلس وارتح قليلاً.» وأخذت طبقاً من الكرتون لتستعمله كمروحة لابنها.

جلس بالقرب منها وسألها: «هل أستطيع تمضية الليلة مع فرانك فورست؟»

«لا أعرف. سوف أسأل أندريا.»

«لقد وافقت.»

«إذاً، أعتقد أنني موافقة أيضاً.»

«جيد» شرب ما تبقى من الليموناضة وقال: «أين ذهب بولت؟ لم أنتبه.»

توقفت عن تحريك المروحة: «يلعب بالحدوات. لماذا؟»

«أعتقد أنني سوف أذهب لأتفرج عليه وهو يلعب.»

«عليك أن تجلس وترتاح قليلاً.»

أصر قائلاً: «سوف أرتاح في طريق العودة.»

تنهدت كلاريس. في الأيام الأخيرة كانت تتمنى أحياناً لو أن طفلها «العادي» يصبح أقل «عادية.» فهل هي جدية أكثر من اللازم؟ ربما الحل الوسط هو الأنسب. «حسناً. إذا كنت فعلاً تريد أن تراقب لعبة الحدوات، سوف أذهب معك إذاً.»

هز كتفه وهو ينظر بعيداً، ثم رفع عينيه نحوها: «لقد تأخرت. عائلة غيلز قادمة.»

«من؟»

«آل غيلز. تعرفينهم، أصحاب محل المرطبات. الذين لهم توأمان.»

نظرت كلاريس في الإتجاه الذي أشار إليه. من الواضح أن وايت غيلز وامرأته الصغيرة ذات ضفيرة شعر طويلة، وبطن منتفخ هائل، كانا يتجهان نحوهما ببطء. لاحظت كلاريس أنها هي نفسها المرأة التي قبلها بولتن على خدها ذلك الصباح الممطر. كان أملها أن يلقوا التحية ويمضوا. ولكنه تبخر أملها عندما رفع وايت يده، ونادى كلاريس:

«كلاريس، تعالي وتعرفي على زوجتي.»

نهضت كلاريس، وانتبهت إلى أن ترنت كان يحاول الإبتعاد عنها. قبضت على يده وهي تبتسم: «مرحباً.»

«مرحباً.» ابتسامة وايت كانت ودية وقال: «هذه تراسي. بل جزء منها تراسي والباقي هو الطفل.» اعتزازه كان واضحاً في كل كلمة.

«تشرفت بمعرفتك، يا تراسي.»

ابتسمت تراسي: «شكراً، وأنا أيضاً.» حولت نظرها نحو ترنت: «لا بد أن هذا نجمنا الواعد.»

قالت كلاريس: «ابني ترنتون.» لاحظت أن بولتن قد أخبر كل شيء عن ابنها لهذه العائلة.

«مرحباً، ترنتون.»

«مرحباً.»

قالت تراسي: «أعتقد أنك تعرفتِ على ولدينا الثنائي الشقي، ماكس وركس.»

«نعم سيدتي.»

قال وايت بلطافة: «حاولي ألا تأخذي ذلك ممسكاً علينا.»

دفعته تراسي بمرفقها: «أصمت يا وايت!»

www.liilas.com/vb3

ضحك ووضع ذراعه حول عنقها، وقال لكلاريس: «كنت أمزح فقط.» انتبهت كلاريس لنفسها، فلقد كانت تراقبهما عن كثب.

لم تستطع أن تمنع نفسها. لقد كانا زوجين مميزين. لقد كان وايت أكبر سناً، أقسى، جذاباً بطريقة معينة. بينما تراسي كانت أكثر من جميلة. لقد كانت تملك براءة غريبة، مما يجعل كثيراً من الرجال غير قادرين على مقاومتها.

نظرت كلاريس بحذر إلى البشرة الناعمة، والعينين الجميلتين، الفم الممتلىء والى الشعر الذهبي. كم كانت خائفة، تراسي غيلز كانت من النوع الذي يحث على الإخلاص وخاصة لرجل مستقيم يهتم ببيته، تقريباً مثل بولتن. لم تكن لتصنف وايت غيلز من هذا الصنف، ولكن إذا كانت النظرة التي يوجهها الى زوجته تعبيراً على الإخلاص ـ لقد كان ينظر كأنه يريد أن يلتهمها قطعة قطعة ـ فوايت غيلز كان عاطفياً الى أبعد درجة. للمرة الثالثة، أحست كلاريس بشيء من الغبطة في ما يخص هذه المرأة.

سأل وايت: «أين بولتن؟»

سؤاله أقلقها. فهذا يعني أنه استنتج أنها هي وبولتن معاً. وجدت نفسها تتمتم: «يـ... يلـ... يلعب لعبة الحدوات.»

قفز ترنتون: «وأنا أريد أن أتفرج.»

التفت بسرعة نحو ابنها، وجهه لم يعد محمراً، ولكن جزءاً منها أراد أن يبقيه قريباً منها. تدخل وايت ليقطع أفكارها.

«أنا أيضاً أريد أن أتفرج. لماذا لا نذهب جميعاً؟»

أشرق وجه ترنتون، وأدار عينيه المتوسلتين نحو أمه مجدداً.»

قررت: «حسناً. ولكن أتوقع أن تمشي بهدوء. اشرب كوب الليموناضة أولاً.»

وافق ترنتون بشوق، وقبل أن تنهي جملتها كان قد أفرغ محتوى الكوب في فمه. ابتسم لها وايت متفهماً. ثم ذهب هو والصبي. تنهدت كلاريس بعمق.

ضحكت تراسي: «يكبرون بسرعة، أليس كذلك؟»

أومأت كلاريس برأسها موافقة: «أعتقد أنك تعرفين ذلك، بما أنك ربيت ولدين.»

حركت تراسي أنفها وقالت: «في الواقع، تزوجنا منذ سنة. وايت وزوجته تطلقا، والولدان بقيا معنا.» انزلقت يدها على بطنها، ورفعتها كأنها بحاجة الى عون.

قالت كلاريس: «لِمَ لا نجلس؟» وأشارت الى المقعد.

جلست تراسي على الفور: «شكراً. انني أتعب بسرعة هذه الأيام.»

قالت كلاريس: «فهمت، توأمان.»

ضحكت تراسي: «نعم. مسكين وايت. جدتي تقول ان هذه مشيئة القدر. مجموعة واحدة من التوائم شيء مضنٍ، ولكن مجموعتين من التوائم، كارثة.» دهشت كلاريس وهزت رأسها: «مجموعتان من التوائم. لا يبدو عليك الخوف.»

ضحكت تراسي: «ربما يجب عليّ ذلك إذا أخذنا بعين الإعتبار ماكس وركس. إن الذي لا يستطيعان فعله، لم يخترع بعد. ولكن لا أعرف لماذا أحببت الإثنين منذ البداية. في الحقيقة، كان وايت من أرعبني وأقلقني.»

www.liilas.com/vb3

لوت كلاريس رأسها وقالت: «كيف ذلك؟»

ابتسامة تراسي بدت مميزة جداً. وبعد لحظة قالت: «لقد كان يجعلني متوترة.»

اتسعت عينا كلاريس: «أوه!» بولتن كان يجعلها متوترة أحياناً.

اتكأت تراسي الى الوراء ويدها على بطنها. «حسناً. لقد كان يوترني ودون أن يشعر بذلك، هل فهمت؟ أعني طالما أنني معه يشعر بارتياح. ولكنه ليس من النوع المريح مثل بولتن.»

مثل بولتن؟ فكرت كلاريس. قالت: «انني لا أصف بولتن بالمريح.»

بدت تراسي مستغربة: «لا؟ لطالما اعتقدت أن بولتن هو الرجل الوحيد الذي يمكنك البقاء معه بسهولة وارتياح.»

صمتت كلاريس: «لا يمكنك أن تعني ذلك. بولتن تشارلز هو الرجل الأكثر إزعاجاً في العالم.»

حدقت تراسي فيها للحظة، ثم ضحكت: «أوه!»

لم تفهم كلاريس: «ماذا؟»

وضعت تراسي يداً حول كتف كلاريس: «بولتن هو رجل جذاب جداً. أستطيع أن أرى كيف استطاع أن يزعج المرأة الصحيحة.» شحب وجه كلاريس لهذا التعليق.

بدت تراسي مرحة أكثر وقالت: «لا تقلقي، هذا متبادل. أقول لك الحقيقة. لهذا أردت أن ألقاك.»

«حقاً؟»

قالت: «طبعاً. بولتن هو رجل مميز. لذلك أي امرأة يتعلق بها بعمق، يجب أن تكون مميزة أيضاً.»

ذهلت كلاريس. بولتن يهتم بعمق بها؟ فجأة، أحست بشوق واضح وقوي. أخبرتها غريزتها أن بولتن تشارلز يهتم بعمق بها. يمكن أن يكون أروع وأبهج شيء قد حصل لها في حياتها. فكرت بالطريقة التي نظر بها وايت إلى تراسي، وفكرت بوالد ترنتون. لقد كان ينظر اليها أحياناً بهذه الطريقة، ولكنها كانت دائماً تتساءل إذا ما يتخيل أحداً آخر. لن يكون الأمر كذلك مع بولتن. لسبب ما كانت تعرف هذا. قسم منها ارتعب، وقسم ابتهج. لكنها ذكرت نفسها بالإستقلالية. أرادت استقلاليتها، أليس كذلك؟ فجأة انتبهت أن تراسي كانت تنظر اليها بطريقة غريبة. جعلت نفسها تبتسم.

«هل تريدين بعض الليموناضة؟»

«رائع. شكراً.»

كانتا لا تزالان تشربان كوبيهما عندما ظهر وايت وبولتن.

سألته كلاريس بمرح: «هل ربحت؟» كانت مدركة أن تسارع نبضها يعود لسبب قربه منها.

ضحك: «سيب لن يسامحني أبداً.»

ضحكت: «تهانينا.»

جلس وايت الى جانب زوجته، وضمها إليه. اعتقدت كلاريس أنه لا يستطيع ـ لم يعد يستطيع ـ أن يضع ذراعه حول خصرها، ولكن هذا لم يكن يهمه. جلس بولتن الى جانب كلاريس وبالصدفة وقعت يده على ركبتها. لم تكن يوماً واعية لوجود يد، لقد كانت يده حارة وثقيلة. لم تعد تستطيع أن تتنفس إلى أن أزاحها. ثم أخذت كوبها لتكمل

www.rilas.com.ye

الشراب. لقد كان يجعلها متوترة جداً. بلعت ريقها، وسألت عن ترنتون.

«انه يأكل بطيخاً مع ماكس وركس.»

قالت تراسي: «آه!»

قال وايت: «لقد نزعنا قمصانهم.»

أضاف بولتن: «أندريا فورست تراقبهم.»

لقد كان هذا كافياً لكلاريس: «جيد، لا أعتقد أنهم سوف يدخلون في متاعب إذاً.»

رفعت تراسي حاجبها وهي تشك بالأمر، ولكنها لم تقل شيئاً.

وضع بولتن ذراعه خلف كتف كلاريس مطمئناً. وقال برقة وبالقرب من أذنها: «ترنت سيكون بخير.» ارتعشت. لقد كان شعوراً رائعاً. احتست الليموناضة وأجبرت نفسها على الجلوس بهدوء بينما بولتن، وايت وتراسي كانوا يتبادلون الأحاديث.

ظهر ترنتون بعد قليل، كان نظيفاً. جلس على ركبتي بولتن، وأحنى رأسه على صدره كأنه كان ينتمي إليه.

قال للجميع: «وضع ماكس بذرة بطيخ في أذني.» هزت تراسي رأسها. «ولكن السيدة فورست أخرجتها.» تنهد ووضع رأسه مجدداً على صدر بولتن. «أعتقد أنني في حاجة إلى النوم.» أغمض ترنتون عينيه ووضع بولتن ذراعه حول خصر الصبي وتابع حديثه. تساءلت كلاريس إذا لاحظ أحد غيرها كيف أن الإثنين ينجذبان إلى بعضهما بطريقة طبيعية، وكم كان بولتن سعيداً مع الصبي، نظرت نحو تراسي ووايت، وأدركت أنهما قد لاحظا ذلك بسبب نظرتهما السعيدة والمتفهمة.

لم يكن الجو مظلماً عندما حمل بولتن الصبي، ولكن النزهة شارفت على الانتهاء. أما الزوجان غيلز اللذان استمتعت كلاريس برفقتهما كثيراً، فقد ذهبا للبحث عن ولديهما. لقد أرادا أن يصلا إلى الملعب باكراً لكي يحصلا على مقاعد جيدة. وعرضا على كلاريس وترنتون أن يحجزا لهما مكاناً بالقرب منهم. بولتن كان مدعواً لذلك فمقعده سيكون في الصف الأمامي. في هذه الأثناء كان تنظيف وتنظيم المكان قد بدأ.

مرتدياً ثيابه من جديد، وقد تحسن بعد القيلولة، انضم ترنتون إلى مجموعة كبيرة من الأولاد الذين كانوا يزيلون الأوساخ. أما بولتن فقد ذهب ليتأكد من أن الكراسي والطاولات قد وضعت في مكانها.

متغلبة على الخجل، إنضمت كلاريس بتصميم إلى مجموعة النساء اللواتي كن يتأكدن من أن الطعام الباقي قد وضب جيداً أو رمي في مكانه. الحضور إلى الكنيسة كل أسبوع ساعدها كثيراً. فقد تمكنت من معرفة معظم الموجودات في النزهة، ولكن حتى اللواتي لا تعرفهن بدون وكانهن يعرفنها. الجميع لاحظ أن القس كان برفقة «احداهن» والكل كان فضولياً. إعترفت أندريا فورست بأن الكل كان سعيداً، لأن من الواضح أن القس كان يحاول الإستقرار من جديد.

أفشت اندريا سراً وهي تقول برقة: «عندما توفيت كارول قلق الجميع عليه. كم أحب هذه المرأة! ولكن هذا هو بولتن، إنه من النوع الذي يحب المرأة روحاً وجسداً. إننا مسرورون لأنه وجد أخيراً شخصاً مناسباً.»

www.liilas.com

صعقت كلاريس، ورفضت أن تكون «شخصاً مناسباً» لبولتن.

كانت تأمل في أن تكون ملاحظات أندريا عابرة. ولكن رعية كنيسة بولتن، كانوا يعتقدون أن أي شخص يهتم به بولتن سوف يرحب بأي سؤال يوجهونه له. لقد كانت مرعوبة لأنها كانت تسأل عن كل شيء من عمرها إلى صحتها. في البداية، كانت تجد سهولة بالمحافظة على رباطة جاشها. ولكن تدريجياً بدأت تفهم ما كان وراء هذه الأسئلة.

لقد كان بولتن محبوباً جداً من قبل هذا القوم. أرادوا الأحسن له، ولقد أرادوا ان يحبوا ويهتموا بـ «شخصه الآخر.» أي شخص يهتم به سيكون مهماً لهم.

كانت ردة فعلهم لهذا الإقتران العلني اليوم مقبولة، ولكن مزعجة. والذي ازعجها كثيراً هو السهولة التي تقبلوا بها فكرة وجودها مع بولتن. لقد كان أمراً واقعاً بالنسبة لرعية الكنيسة، حتى أندريا قالت انها عرفت منذ البداية، لم تستطع كلاريس أن تنكر أو أن تصر على أنها هي وبولتن مجرد صديقين. واحدة من اللواتي اخبرتهن ذلك، نظرت إليها نظرة متفهمة وقالت: «فقط صديقان، ربما الآن فقط.»

بدا أن الكل مصر على اختلاق قصة حب من ذلك. وبعد فترة من هذا النهار الجميل، تساءلت كلاريس إذا ما كانا مناسبين لبعضهما، ربما كان من المتوقع ارتباطهما. أو ربما الكل كان ينسج استنتاجات. إنها في الحقيقة لم تعد تعرف بماذا تفكر. كيف يمكنها هذا وتجربتها في الحب كانت كئيبة؟ فكرت كيف أن زوجها أحبها جسداً وليس

روحاً. في الحقيقة كان يحبها أكثر عندما تبتعد عنه، وتبقي فمها مقفلاً. لقد كان من الواضح أنه لم يتزوجها لأنه مغرم بها، ولأنها تطابق مواصفات الزوجة المطلوبة، كانت مطيعة وهادئة وملبية لكل طلباته. ولكن هذا لم يدم. هل يفكر بولتن مثل ترنتون؟ هل يؤمن أنها تناسبه كزوجة قس؟

لقد أوضح نواياه الرومنسية منذ البداية، ولكنها اعترضت ووعدها بالصداقة. ربما هذا ما يريده الآن. ربما أحب كارول بشدة كما يقول الجميع، وربما هي المرأة الوحيدة التي أحبها. اهتمامه بها خلال النزهة كان عرضياً، لدرجة أنها لم تستطع أن تتخيل أنه يعتبر اتصالهما الجسدي قوياً بالقدر الذي كانت تعتبره. لو أن بولتن ينظر إليها كما كان زوجها السابق ينظر إليها لكانت أدركت ذلك. فهو قد سأل كيف استطاع زوجها السابق أن يفوز بها. لكن طريقته تشبه طريقة والد ترنتون. فقد حاول أن يغويها بغمضة عين، ولكن هذه المرة لم تكن سهلة الانقياد لذلك تراجع عن المحاولة. فمن المعقول أن والد ترنتون كان ليفعل الشيء ذاته، لو أنها كانت تملك حساً واعياً وقتها. لسوء الحظ لم تكن تعرف، ماذا كانت تريد وقتها. فبعد حادث أهلها بالسيارة لم تكن تملك خياراً غير الزواج من والد ترنت ريفير.

حسناً، لم تعد تلك الفتاة الخجولة غير المتأكدة من شيء. هي تعرف ماذا تريد أرادت استقلاليتها، لم تكن تريد، لا حباً ولا رومنسية... هذا الشيء ليس لها الآن. ولكن من الواضح أنه كان متوفراً لكارول تشارلز، وللحظة أحست بغيرة

www.liilas.com

شديدة من هذه المرأة. تغار من امرأة متوفية. كم أصبحت تافهة! ما الأمر؟ لماذا تشعر هكذا؟

حسناً، الاستقلالية كانت أهم شيء. ولكن هذا لا يعني أنها لا تريد أن تكون مغرمة. كل شخص يريد أن يحب. ولكن هل كانت يائسة لدرجة أن تحسد الموتى، وما يتركونه خلفهم؟ ذكرت نفسها بشدة ان بعض الأشياء أهم من الحب، مثل الحصول على وسائل القوة لمصلحة العائلة. بولتن تشارلز مهم جداً لمصلحة ابنها. لذلك فهو مهم للعائلة. وحقيقة أنها جزء آخر من هذه العائلة، كان غير منطقي. وحقيقة أن بولتن جعلها تفكر بأنها بحاجة لأن تحب، غير منطقي أيضاً. كانت تعرف ذلك طوال الوقت. ولكن معرفة ذلك الآن جعلتها حزينة.

عندما انتهى التنظيف والأسئلة، حاولت كلاريس أن تستعيد روح المرح التي كانت مسيطرة على النزهة، ولكن أفكارها تركتها حساسة أكثر من اللازم، لذلك أحست بكدر الألم عندما اقترح بولتن أن يذهبا في سيارتين إلى الملعب لمشاهدة الألعاب النارية، لأن بعد انتهاء السهرة سوف يتأخر الوقت، وبسبب مهماته سوف يكون آخر من يخرج. لم يكن يريدها هي وترنت أن ينتظرا بلا داع، لأن ترنت يبدو مرهقاً بسبب الحر والنشاطات. أسبابه كانت منطقية طبعاً، ولكنه بدا مشغولاً وبعيداً أكثر من أي وقت مضى، ولم تستطع أن تنكر أنها أصيبت بخيبة أمل. لو أن ترنتون كان أقل حماساً، لكانت ذهبت إلى البيت وألغت كل شيء. ولكن لم يكن لها أي خيار. قادت سيارتها هي وابنها إلى ملعب كرة القدم.

استطاع آل غيلز أن يحصلوا على مقاعد بعد خمسين ياردة أو ما يعادل الصف الخامس للمدرج، حتى يستطيعوا رؤية كل شيء.

انتبه وايت وأحضر مظلته من السيارة، وظلل امرأته الحامل التي كانت تشرب مرطباً. بعد قليل من جلوس كلاريس، نهضت تراسي ووضعت يديها خلف ظهرها، تريد الذهاب إلى الحمام، ولاحظت كلاريس أن تراسي تريدها أن ترافقها. سرت بذلك طبعاً، ولكن لم تكن سعيدة عندما سألتها تراسي وهما تغادران المدرج: «ما الخطب؟»

صدمت كلاريس قليلاً، هل كانت واضحة لهذه الدرجة، حتى أن تراسي استطاعت أن تقرأها ككتاب، وهي لم تلتق بها الا منذ ساعات؟ فكرت بأن تكذب، ولكنها قررت خلاف ذلك. تراسي غيلز كانت شديدة الملاحظة. ولكن كيف تخبرها؟ اخذت نفساً عميقاً وهي تستجمع أفكارها.

«إن هذا يحصل بسرعة كبيرة. الكل ينظر إلينا كزوجين انا والكاهن، فقط لأننا تناولنا الطعام معاً في النزهة.»

ابتسمت تراسي: «لقد فعلتما أكثر من ذلك، يا كلاريس. من الواضح أنه كان في انتظارك عندما وصلت. ولم تنفصلا أو تبتعدا عن بعضكما طوال النهار، ثم هناك ترنت، بولتن لم يكف عن الكلام عن هذا الصبي لأسابيع، ودائماً كان يشير إلى الأم الرائعة، المرأة الجيدة، الصديقة العزيزة ذات الذوق الرفيع، الأرملة ريفير. بماذا كان يفكر الناس؟»

كلاريس كانت مهتمة بما كانت تفكر به. كل هذه العبارات أعجبتها، ولكن هل هي عبارات بولتن؟ ألقت نظرة نحو صديقتها: «هل فعلاً قال بولتن هذه الأشياء عني؟»

www.liilas.com/vb3

نظرت تراسي نحوها: «آه نعم، مع اشياء أخرى، ولا أعتقد أننا أنا وولايت الوحيدان اللذان تكلم معهما عنك.»

كان هذا مفرحاً... إلا إذا... عضت كلاريس على شفتها، وجمعت شجاعتها وسألت: «كيف كانت زوجته؟»

نظرت باستغراب، ولكن تراسي أجابت بهدوء وتفكير: «لا أعرفها، ولكنها كما يقولون طويلة، رفيعة، وشقراء.»

عبست كلاريس، لتكون نسخة عن كارول تشارلز يجب أن تشاركها أكثر من ميزة. كانت في حاجة إلى معلومات أكثر. «هل هذا كل ما تستطيعين إخباري به؟»

هزت تراسي كتفيها: «حسناً، لنر، سمعت أنها كانت تسانده كثيراً، ولكن ليس عندما لا توافق. أعتقد أنها كانت ذكية، قوية خصوصاً طريقة تعاطيها مع مرضها. طبعاً كل من عرفها كان يحترمها. ولكن لم أسمع أحداً يصفها بالأنيقة. وبولتن لم يجلس يوماً في بيتي، وتلك النظرة الحالمة في عينيه، وهو يصفها بالمرأة الحساسة وشديدة الدفء. لقد كان يتكلم عنك عندما قال هذا.»

امرأة حساسة وشديدة الدفء؟ هي؟ هزتها تراسي بكلماتها، وعندها فقط لاحظت كلاريس أنها كانت تقف وفمها مفتوح. أقفلته وبدأت تمشي مجدداً، وهي تهضم المعلومات الجديدة بصمت. حسناً، انها لا تشبه كارول تشارلز، ولكن ما المميز فيها؟ لم تكن تعرف. لم تسأل أية أسئلة، وتراسي لم تعطها أجوبة غير مطلوبة. في طريق العودة إلى المدرج، تبادلتا تعليقات عن غروب الشمس. ولكن كلاريس وجدت صعوبة لتبقي تفكيرها محصوراً في الطقس.

أحدهم كان يعزف موسيقى وطنية، ولكن لم تستطع كلاريس الإنتباه. كذلك الأمر، لم تنتبه إلى الولدين نوي المزاج السيىء اللذين كانا يجلسان بالقرب من ترنت برغم أن وايت وتراسي حاولا تهدئتهما. حتى أن كلاريس لم تكن مطلعة على استعراض الأعلام الذي قامت به مجموعة من الكشافة المحلية، إلى أن لكزها ترنتون لتقف على قدميها لتلاوة النشيد. عندها تقدم بولتن إلى المذياع الذي كان موضوعاً في وسط الملعب، وطلب بتهذيب السكوت حتى يستطيع التلاوة. اختفت أفكار كلاريس فجأة، وركزت على صوته، وأقفلت عينيها وهي تشعر بأن عليها الوقوف بخشوع. بصمت ومن وراء كلمات بولتن العميقة سعت لمعرفة الحكمة. صعقها كم سيفرح بولتن إذا عرف بمجريات الأمور، وابتسمت برغم ارتباكها.

لذلك كان عليها أن تركز على البرنامج. فأخذت تراقب فرقة المشاة المبعوثة من سيال، حتى أنها انتبهت إلى الخطابات السياسية التي ألقاها بعض موظفي الدولة. أخيراً تحوّل النهار إلى ليل حالك تحضيراً للحدث التالي. أطفأت الأضواء، وغرق الجمهور في صمت عميق، ثم وبإشارة ناعمة، أعلن اطلاق اول صاروخ. عندها داس أحدهم على قدمها ربما ولد من أولاد غيلز. انفجر الصاروخ بصوت مدوٍ مالئاً السماء ببقع ذهبية، ولكنها لم تر إلا بولتن يبتسم لها معتذراً، بولتن يجلس إلى جانبها، ويضع ترنت في حضنه، ويأخذ يدها بين يديه. بولتن، آه بولتن. أرادت أن تضع ذراعها حول عنقه، وتدفن رأسها في

www.liilas.com/vb3

صدره. بدل ذلك، حضنت يده وأدارت رأسها إلى السماء، وهي تصرخ فرحاً مع الجميع، وهي تعلم أن نارهما تفوق أي شيء ابتكره الإنسان.

عند الحادية عشرة، انتهى كل شيء، وصوت الفرح ملأ المدرج. قررت عائلة غيلز التريث قليلاً حتى يتفرق الحشد لكي يوفروا على تراسي وقتاً إضافياً بدلاً من الوقوف على قدميها. وافق كلاريس وبولتن بصمت. أما ترنتون فقد نام منذ زمن في حضن بولتن. وعندما قرروا الذهاب إلى السيارات. أصر بولتن على حمله برغم أنه كبير جداً ليحمل على ذراع بولتن.

تركوا آل غيلز عند سيارتهم القديمة. حتى أن التوأمين كانا قد تعبا وبدأ الإثنان بالتثاؤب. ولكن لم تشعر كلاريس يوماً بهذه الحيوية. بعد مساعدة بولتن في وضع ترنتون في السيارة، راقبت ابنها وهو يحاول أن يجد الوضع المريح لينام، وتراجعت بامتعاض. لدهشتها وبرغم أن بولتن كان يأخذ كل تفكيرها، فقد فوجئت عندما أمسك يدها ودفعها إلى مقدمة السيارة وأدارها لتواجهه.

قال برقة: «أعلم أنني لا أريد أن أضغط عليك، ولكنني لا أستطيع إلا أن أتمنى.» توقف عن الكلام ورفع يديه إلى كتفها: «هل تعتقدين أن في امكانك الذهاب معي إلى العشاء أعني بمفردنا؟ يمكننا أن نتعشى في هذا المطعم الإيطالي، فالكل يقول أن طعامه جيد جداً.»

اوشكت أن تقول له انها تسر بقبول دعوته عندما رفع يده إلى عنقها وهمس: «أريد أن اعانقك، أردت ذلك طوال الوقت، لكنني كنت أقول طوال النهار انه لا ينبغي عليّ ذلك،

ولا استطيع، ولن أسمح بذلك، ولكنني ما زلت أريد ذلك.»

بلعت كلاريس ريقها، وهي تشعر بقوة يده. رفعت ذراعيها نحو ذراعه منتظرة. توقف، أنزل يديه وتراجع إلى الوراء وهو يلتفت حولهما. لم يكونا وحدهما إنهما في موقف سيارات، وهناك الكثير من الناس. لم تكن تهتم. صدمت لأنها لا تهتم. كانت لا تزال تمسك بيده. نظر نحو يديها وغطاهما بيده.

قال بصوت أجش وواثق: «الجمعة، هل تسمحين لي بأن اصطبحك إلى العشاء؟»

أومأت برأسها موافقة: «نعم.»

أطلق تنهيدة طويلة: «حسن، حسن.» شدد قبضته على يدها وقال: «عليّ أن أتركك قبل أن نثير الضحك.»

عنى أن عليها هي أن تتركه، انزلقت يدها بعيداً. ضحكت وخفضت رأسها، وهي تشعر بأنها تحمر. رفع رأسها إلى الأعلى واضعاً يده على ذقنها.

«هذا يعني أنك غيرت رأيك.»

لم تتظاهر بأنها لم تعلم، أو تفهم عما يتكلم: «أعتقد ذلك.»

«إنني سعيد، سعيد جداً.»

ابتسمت بوهن، وهي خائفة مجدداً. عليها أن تذهب قبل أن تقوم بعمل أحمق.

استدارت وقالت: «تصبح على خير يا بولتن.»

«تصبحين على خير. وضع يده على خصره، وراقبها وهي تأخذ مفاتيحها من المحفظة. دخلت إلى السيارة، وقبل أن تقفل الباب، تقدم وأمسك بمقبض الباب.

www.liilas.com/vb3

قال بإصرار: «الجمعة.» كأنه ينكرها بأنه لن يقبل أي عذر إذا غيرت رأيها. «إننا مرتبطان بموعد نهار الجمعة.»

موعد. كم مر من سنين، ولم تخرج في موعد؟ كم سنة مرت، وهي تريد أن تخرج في موعد؟ لقد أرادت ذلك، وسوف تفعل ذلك. قالت مبتسمة له: «الجمعة، إنني اتوق لهذا النهار.»

أغلق الباب ووجهه مشرق.

الفصل الثامن

نظر وليز إليها نظرة غاضبة، عيناه الخضراوان تلمعان بشكل مرعب. لونهما نابض بالحياة في وجهه المجعد. قال بصوت هادىء وصارم: «إني أمنعك من ذلك.»

كادت كلاريس ان تبتسم. لقد كان هذا تماماً كما توقعت. كل شيء في هذه اللحظة كان تماماً كما توقعته من وليز ريفير. لم يستطع ان يفهم جيداً حتى الآن انها تستطيع ان تتحدى، لا بل ترفض سلطته عليها. لقد برهن دائماً ان إرادته فوق كل شيء، حتى عندما كان زوجها حياً ـ أو خصوصاً عندما كان زوجها حياً. لم تلم وليز لأنه لم يفهم أنها تغيرت. لأنها هي نفسها لم تستوعب ذلك تماماً حتى الآن. يا للسخرية! هي تشعر الآن أنها قوية، وواثقة من نفسها ومتعاطفة. لم تتوقع ذلك، خصوصاً العاطفة، برغم ذلك، فصورته وهو جالس في كرسيه كانت حزينة. جسمه متهدل وهزيل، روحه ما زالت قوية، ولكنها غير فعالة لأول مرة. حنت رأسها. العاطفة أثرت على نبرة صوتها، ولكنها لم تؤثر على رأيها أبداً.

«أعتقد أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً حيال ذلك، يا ولز. سوف يصل في أية دقيقة، وسوف أذهب معه إلى العشاء.»

عدم التصديق، والغضب ملأ وجه العجوز: «كيف يمكنك فعل ذلك؟ كيف امكنك فعل ذلك؟ لقد كان يعتني بترنتون! أي نوع من الأمهات أنت؟»

www.liilas.com/vb3

هذه المرة ابتسمت بحزن: «أم جيدة، أعتقد. أحسن مما كنت على الأقل.»

«هذا مناف للعقل! غير مغفور! لقد خنت ابنك، وسوف اتأكد من انه سيعلم بذلك! فكري بهذا.»

هزت رأسها: «يا للهراء. ليس من شيء منافٍ وغير مغفور في تناول العشاء مع صديق لابني، صديق أكبر منه بكثير. ولن نقنع ترنتون بذلك. أعتقد انه كان مسروراً عندما شرحت الأمر له.»

صرخ وليز: «مسرور؟ مسرور؟ كيف يسر عندما تخونين ذكرى والده مع شخص اخترته ليساعده، وليكون مثل والده؟»

فتحت فمها، ثم بدأت تضحك. إنه العمل الوحيد لتظهر تعجبها وازدراءها لرأي حميها في الأمر. تصلب لردة فعلها، إرتباك وغضب امتزجا في عينيه الخضراوين. غطت فمها بيدها لتخفي اي صوت مضطرب، حتى استطاعت ان تسيطر على اعصابها. خطت نحوه وهي تتوسل.

«أنت تفهم ان ترنتون لا يملك اي ذكرى حقيقية عن والده.»

مرت نظرة ألم عابرة فوق وجهه. حرك حنكه واتهمها: «أنت تحبين ان تعتقدي ذلك، اليس كذلك؟»

مدهوشة تراجعت إلى الوراء. ولكن فقط عمق الكلمات أدهشها. الكلمات والفكرة التي طرحها، جعلتها تكتشف بذعرٍ شيئاً مالوفاً في ذلك، برغم انها لم تعترف بذلك من قبل. لقد كان صحيحاً. لم تكن تريد ترنتون أن يتذكر والده. ليس كما تتذكره هي... أنانياً، مدللاً، وقحاً، الوحش الذي لا

يستطيع ان يتصدى لأوامر والده. يتبدل ما بين الساحر إلى الغاضب، وأحياناً إلى قاسٍ مع عدم قدرته على حب اي شخص او أي شيء غير نفسه. لقد كان هذا صحيحاً، ولقد كان خطأ. لأنها لم تكن تريد ان يكون الأمر كذلك. تمنت من كل قلبها ان يتذكر ترنتون أباً عطوفاً ومحباً حكيماً يترك اولوياته لعائلته. أباً مثل بولتن تشارلز. الفكرة اصبحت تلقائية في رأسها، وتصدمها اكثر من أي شيء، ولكنها لا تستطيع ان تتفاداها. دفعتها بعيداً لتستوعب غضب حميها والحقائق المحيطة بذلك.

قالت بحدة: «انك تتصرف بغباء، ترنت لم يكن إلا في الثالثة من عمره عندما توفي والده. وهذا لا يمكن تغييره. وأهم شيء، لا يمكن لأحد ان يغير ترنتون إلى شخص غير ما هو عليه. ولا أحد يحق له فعل او محاولة ذلك. ولكن الشخص الوحيد الذي يحاول ذلك هو بولتن تشارلز.»

لوى فمه وقال: «لم أعتقد يوماً أنه يستطيع.»

مالت برأسها: «لم تعتقد ذلك؟» هاتان العينان الخضراوان متأملتان ولامعتان، سببتا رعشة سرت في جسدها. «ماذا تعني؟ ماذا كنت تتوقع من بولتن؟» لم يكن ليجيبها. ورأت ذلك في شفتيه المصممتين قبل ان يقرع الباب، ولكن اصبح الوقت متأخراً الآن. لقد حضر بولتن. لكن وليز رفع رأسه وانتظر ما سيحصل. شعرت بالرعب، وبخوف غير معقول. لا، لن تدعه يرعبها. لن يهزمها بعد الآن بسبب الخوف مما سيحدث. ضغطت على يديها وابعدت الخوف عنها. عندما دخلت تيريزا وفتحت الباب، واعلنت بمرح:

www.liilas.com/vb3

«السيد الموقر تشارلز.»

فتحت كلاريس فمها لتقول انها سوف تحضر حالاً، ولكن وليز انتهز الفرصة منها وقال: «أدخليه يا تيريزا.»

ألقت كلاريس عليه نظرة متسائلة، ولكن نظرته كانت مصوبة نحو الباب الذي ظهر من خلاله بولتن فجأة.

«وليز، كلاريس.» إبتسامة كانت حارة ومرتاحة، ولكن النظرة السريعة التي ألقاها نحوها، اعلنت انه كان مستعداً لأي شيء سيرميه به وليز. ركز على العجوز وقال: «اتمنى ان تكون بصحة جيدة.»

لوّح وليز بيده ليبعد اهتمام بولتن عنه واعلن: «يجب أن نتحدث قريباً. حدد الوقت الذي يناسبك، واترك رسالة عند تيريزا. سوف انتظر ذلك.»

التوى فم بولتن، ولكنه مال برأسه ووافق قبل أن يستدير نحو كلاريس مجدداً وابتسم: «حاضرة.»

أومأت موافقة، وهي تتساءل فجأة إذا لم تكن قد ارتكبت خطأ. وضع ذراعه حولها ويده استقرت على ظهرها الصغير وتوجه بها نحو الباب. غمرها الدفء. الدفء والإرتياح. خرجا نحو الممر، ومشيا جنباً إلى جنب. وقال بنعومة وهو يقفل الباب خلفهما: «تبدين جميلة جداً، ولكن انت دائماً جميلة.»

سمعت نفسها تضحك، وتساءلت ممن استعارت هذا الصوت المرح الموسيقي. بالطبع لم تكن يوماً هكذا. أخذ يدها وقادها نحو سيارة السيدان المتواضعة.

سأل: «هل كان وليز صعباً؟»

«ليس أكثر من المعتاد على ما أعتقد.»

«لم تعجبه فكرة خروجنا معاً، اليس كذلك؟»

هزت رأسها: «ولكن هو لا يحبذ فكرة خروجي مع أحد.» إبتسم: «أعرف ذلك.»

«تعرف؟ كيف؟»

«لقد عرفت اناساً مثله قبل الآن. الحب يعني لهم القوة. والقوة السيطرة. لذلك إذا كانوا يحبون شخصاً يحاولون السيطرة عليه. إنها المتعة الوحيدة التي يستنتجونها من الحب. ولكن هذا بالطبع يمنع نجاحها. السيطرة على أحد، أو محاولة ذلك هي الطريقة الأكيدة لخسارتهم. لذلك أن يكون المرء والداً هو عمل صعب للغاية. على المرء ان يفرق بين الرعاية المسؤولة والسيطرة الكاملة. أحياناً، أولادنا يدفعوننا إلى آخر الخط بيدهم، وثم علينا ان نتمتع بالشجاعة لنقوم بعمل ما هو أحسن حتى لو أن هذا يعني فقدان حبهم لفترة. بينما بين الكبار، السيطرة يجب ألا تكون موضوعاً أبداً. الحب الناضج يعيش في جو من الأمان والإحترام والثقة. كل هذا يعني ان وليز ريفير لم يجرب الحب الناضج لذلك اشفق عليه. انتهت الموعظة.»

وقفت هناك تنظر نحوه للحظة، معجبة بتبصره، وبعد نظره. بين الكبار السيطرة يجب ألا تكون موضوعاً ابداً. الحب يعيش في جو من الأمان، والإحترام والثقة. أليس هذا ما تسميه هي الإستقلالية؟ لم تكن واثقة. عقلها كان يقول شيئاً، وقلبها شيئاً آخر. وطوال الوقت جسدها كان متوتراً بسبب قرب بولتن منها. لاحظت فجأة انه كان يحدق بفمها، وكل حواسها كانت مركزة على فمه. نسيت الموعظة، نسيت

www.liilas.com/vb3

العشاء، نسيت وليز، فجأة تراجع بولتن إلى الوراء، وفتح باب السيارة.

لم يبد أنه سوف يعانقها، وبرغم انها كانت تخاف من عناقه، فهو الآن يروق لها. ولكن هل ستقول له ذلك؟ ألن يعانقها عندما تسنح الفرصة بذلك؟ لقد قال انه أراد ذلك. ولكن ربما غير رأيه. ربما هذا أحسن، لم تعرف ماذا تقرر. لم تعد تعرف بعد الآن ما هو الأصح لها ولبولتن، هل ستعرف يوماً؟ هل ستتجرأ؟

راقبها من طرف عينه. كانت تمشي بفخرٍ، عمودها الفقري مستقيم كلوح خشب، وكتفاها على نفس المستوى. قدماها الصغيرتان تتقدمان بعضهما، بينما كانت تمشي برشاقة. كانت لها مشية خاصة. كعب عالٍ، والتنورة الناعمة زادت من أنوثتها. ولكن الكنزة الليلكية الملتصقة بجسمها، وكميّها القصيرين، والياقة الواسعة التي تكاد ان تعري كتفيها، هي التي كانت تسترعي انتباهه من وقت إلى آخر.

لم يلاحظ أن قامتها هي أيضاً مستحبة. رقبتها كانت ظاهرة لتكشف الكتفين والصدر. خصرها دقيق جداً لدرجة انه يستطيع ان يحوطه بأصابع يديه.

لم يكن يستطيع أن يمنع نفسه من لمسها. ولكن كان يعرف انه يجب ان يرضى بأن يضع يده على ظهرها. لقد كان يملك عذراً لذلك على الأقل عندما كانا يعبران الشارع. ثم عندما صعدت السلم، هذا السلم ذو الدرجتين، وأمسك بذراعها، يد اعلى من مرفقها، والأخرى انزلقت لتمسك مرفقها الآخر. بدا من الطبيعي أن يمسكها هكذا، وهما يسيران جنباً إلى جنب. عندما فتح الباب ليصل إلى الممر

الضيق الذي ينحدر نحو المطعم بنوره الخافت بطريقة حميمة. ابتسم وأمسك بيدها وهو يقودها إلى الأسفل، إلى أن وصلا إلى السجاد الموجود على الأرض في آخر الدرج. حرك يده لتستقر على خصرها. بينما وقفت أمامه. ظهرها متكئ على صدره، وهما يتأملان الغرفة، وينتظران المضيفة لتصل. الشموع كانت تضيء من داخل اوانٍ زخرفية موضوعة على كل طاولة. الموسيقى كانت ناعمة وهادئة. استطاع بولتن ان يعرف صوت القيثارة. والأكورديون والدف، مجموعة في ألحان مرتفعة ومنخفضة. الأشجار المزروعة في سلال زخرفت الضوء الخافت. الرخام القرميدي غير الملمع، أضاف شيئاً مميزاً على الجو. والنافورة الهادئة في إحدى الزوايا، كانت تعكس الواناً زاهية. بينما المضيفات يتحركن بصمت بين الطاولات، وهن يحملن صوانٍ ثقيلة متوازية على أكفهن.

«لشخصين؟» سألت المضيفة الطويلة. وهي إمرأة ذات شعر داكن، وعظامها ظاهرة لدرجة أنها أصبحت تملك مظهراً نحيلاً جداً. أومأ بولتن. أخرجت قائمتين للطعام من منضدة موجودة بالقرب من الدرج. أشارت قائلة: «من هنا من فضلك.» ومشت بثقة عبر الطاولات.

شد بولتن على خصر كلاريس، كإشارة ليلحقا بالمضيفة. في الحقيقة كان يريد فقط ان يعمق لمسته ليشعر بها، ولكن عندما تقدمت، أطلق سراحها مسلوباً من عذره ليلمسها، ثم لحق بها. عيناه كانتا على كتفيها الصغيرتين اللتين التصقتا بالكنزة بطريقة جميلة، لذلك لم ير الوجوه المألوفة.

www.liilas.com

فجأة، سمعا صوتاً عميقاً يناديه.

«بولتن.»

توقف، ومد يده نحو كلاريس، فقط ليمسك بخصرها. مسروراً لأنه استطاع ان يوقفها، وفرح أكثر عندما تحركت نحوه، نظر إلى الأسفل: «رود!»

ابتسم بولتن ابتسامة عريضة. عندما وقف راعي البقر على قدميه، وسلم على بولتن. وألقى بولتن التحية على المرأة الجالسة إلى الطاولة: «لاين كيف حالك؟ لم أركما منذ زمن.»

قالت المرأة: «عندنا مشكلة اسنان. مسكينة ندي. تعرف كيف يكون الأمر مؤلماً. لقد تركنا الصغيرة في عهدة سام وديدرا، وهربنا هذه الليلة لنحظى بليلة هادئة وممتعة.»

شرح رود: «هيذر تحب أن تلعب مع ابن عمتها ندي. فهي لا تمانع في مضايقته. وطبعاً سام تعود على ذلك.»

قال بولتن وهو يقرب كلاريس منه: «من الجميل ان يكون عندك شخص تثق به. دعاني اعرفكما على رفيقتي في هذه السهرة.»

إعترف رود: «كنا نتمنى ذلك.» وألقى بنظرة سريعة نحو زوجته، قبل أن يثبت نظره على كلاريس.

قال بولتن: «كلاريس ريفير. رود ولاين كورلي.»

«مرحباً.»

ابتسمت لها لاين: «هل أنت جديدة في المنطقة، يا كلاريس؟ لا أعتقد انني رأيتك قبلاً.»

«أوه! لا. لقد عشت في دانكن منذ زواجي. ولكنني لم أخرج كثيراً منذ وفاة زوجي.»

قالت لاين: «آسفة، لم أقصد إيلامك بطرح موضوع مؤلم.»

أجابت كلاريس برقة: «لقد توفي منذ فترة طويلة.» لم يستطع بولتن ان يقاوم حاجته إلى وضع يده حول خصرها لحمايتها.

رفع رود اصابعه وقال: «وليز ريفير. لا بد أنك زوجة ترنت.»

صحح بولتن: «أرملة.» لأنه لاحظ أنه يكره كثيراً ان توصف بأنها زوجة ترنت ريفير.

تمتم رود: «طبعاً.» أخفضت كلاريس رأسها بخجل، ولكن رود غيّر الموضوع بسرعة: «هذا المكان هو المفضل لنا. طعامه جيد. هل هذه أول زيارة لكما؟»

أجاب بولتن وكلاريس سوياً: «نعم.»

قال برضى ظاهر: «آه. إذاً علي أن انصحكما ببعض المعكرونة.»

رفعت لاين يدها معترضة، وأعلنت: «سبانخ تورتيليني وسلطة المطعم.»

«طبعاً سلطة المطعم والكعك بالجبنة.»

ضحك بولتن: «يبدو ذلك رائعاً! ولكن لن نحصل على شيء إذا بقينا واقفين هنا.»

سأل رود: «لِمَ لا تنضمان إلينا؟ لم نطلب بعد و...»

ضحكت لاين: «مناسبة مميزة.»

«فقط خاصة.» حرك بولتن يده على ظهر كلاريس، ودفعها بلطف إلى الأمام. قالت وهي تنسحب: «تشرفت بمعرفتكما.»

www.liilas.com/vb3

غمزهما بولتن، وابتسم، ثم اسرع وراءها. وسمع لاين تقول: «حسناً، ماذا تعتقد؟»

أجابها زوجها: «أعتقد أنه حان الوقت.»

وافق بولتن بصمت. لقد سئم من البقاء وحيداً، وأصبح مستعداً لعلاقة جدية. الخطوات الدقيقة التي أوصلت إلى هذا الموعد، كانت مشحونة بالتوتر والكبت. والآن، وبعد ان حصل على كلاريس لنفسه هذه الليلة. ولا ينوي ان يتقاسمها مع أحد. وإذا اعطي الفرصة، سوف يجعل من الأمر عادة.

قادتهما المضيفة عبر الغرفة إلى المائدة في آخر الزاوية. إبتسم بولتن شاكراً، ثم أعطتهما قائمة الطعام.

«هل أحضر لكما شيئاً لتشربا؟»

قالت كلاريس: «شاي لي.»

«ولي أيضاً.»

أخبرتهما المضيفة قبل أن ترحل: «مضيفكما يدعى ستيف.»

تفحصا قائمة الطعام بصمت، حتى عادت المضيفة ومعها الشراب. وسلة من الخبز الساخن. كانت كلاريس اول من وضع القائمة جانباً.

سأل بولتن بخفة: «هل اخترت شيئاً؟»

«أعجبني اقتراح لاين.»

ابتسم عبر القائمة: «وأنا أيضاً، سبانخ تورتيليني. وماذا عن الحساء؟»

«مارينارا.»

«ديتو. وسلطة المطعم؟»

«طبعاً.»

وضع قائمة الطعام جانباً: «لقد كان هذا سهلاً.»

«النصائح كانت مفيدة.»

«نعم.»

نظرت إلى الأسفل، ثم إلى الأعلى وقالت: «لا بد انه من الصعب ان يكون المرء مشهوراً ومعروفاً عندما يكون في مكان عام.»

«ليس بالضبط. أنا مدرك للتفحص. ولكن هذا يزعجني اذا كنت اقوم بعمل مشين.»

«والمبجّل تشارلز لا يقوم أبداً بشيء مشين.»

لقد كانت جملته مليئة بالثقة. ولم تضف انه يملكها بسبب مسؤوليته المقدسة.

قال: «لا أفعل أي شيء مشين عن قصد. ولكن مثل الكل اخطيء أحياناً.»

«وعندما تخطيء؟»

ابتسم: «عندما الاحظ ماذا فعلت. أحاسب ضميري بذلك. واتوقع الغفران، وابدأ من جديد.»

«تجعل الأمر يبدو سهلاً.»

«أصعب قسم هو القسم الأول. وهو ملاحظة أنني على خطأ، ولكن لا يدوم ذاك طويلاً.»

ابتسم لها، وغرقا في صمت مطبق. لقد كان سعيداً لمجرد جلوسه هناك، وهو ينظر اليها ويستوعبها بعينيه. حضور المضيفة، بينما كان متأملاً، اعتبره نوعاً من التدخل. أنهى بولتن الأمر بسرعة. وطلب منها ما يأكلانه. ثم جلس إلى الوراء وهو يتأملها، كان مرتاحاً، ولكن عرف انه

www.liilas.com/vb3

يربكها. لذلك حاول ان يتكلم في موضوع ما، أي موضوع.

«الأيام طويلة جداً في الصيف. لا يزال الجو حاراً. حتى عند الساعة السابعة.»

«هل هذا صحيح؟ لم ألاحظ.»

«لم تعد تظلم قبل التاسعة.»

قالت المضيفة مساعدة: «وحتى عندما لا يبرد الطقس.»

«لا، لا يبرد.»

بدا انهما قد استهلكا كل ما له علاقة بالموضوع. ولم يستطع أن يفكر في شيء آخر للكلام. لقد عاود تحديقه بها. أجبر نفسه على إبعاد نظره مركزاً على نقطة أعلى من كتفها بقليل. ما أغرب كونه لا يستطيع الكلام معها. لقد كان دائماً يستطيع الكلام معها. ولكن كلما قوي شعوره نحوها، زاد خوفه من ان يفعل، أو يقول شيئاً خطأ، أو غير مناسب. ومشاعره قوية بشدة طبعاً. أراد بيأس ان يجعلها له، ومراقبتها تكبر وتتغير لتصبح شخصاً كاملاً.

أراد أن يعود بالذاكرة للحظة في حياته، ليرى كيف غيّرته هي بدورها. لقد كان متشوقاً لهذا التغيّر، لأنه يعرف انها اذا غيّرته فسيكون للأحسن كما فعلت كارول بطريقتها الخاصة. لقد كان يؤمن بكل قلبه ان كارول هي روحه، حب حياته، والآن هو يعرف، ولدهشته ان الحب الذي كان يكنه لكارول قد زاد من عاطفته الآن لكلاريس. كان يشعر بالسعادة مع كارول طوال حياته. لكنه يعرف الآن انه يستطيع ان يشعر بذلك مع كلاريس ايضاً. ولكن على كم فرصة سوف يحصل؟ هل يوجد في هذا العالم امرأة أخرى يمكن ان يحبها كما أحب كلاريس ريفير؟ لم يعتقد ذلك. قلبه

كان ممتلئاً في هذه اللحظة، حتى أنه لم يعد قادراً على ان يعبر عن مشاعره، أو ان يتحمل أكثر.

صوتها الناعم الحريري اعتاد على تأمله: «بماذا تفكر؟»

لقد كان جوابه هو الذي سمعه برعب تام: «أفكر بحبي لك.»

رفع عينيه إلى وجهها بسرعة. بدت مصعوقة. اختفى اللون من خديها. فمها مفتوح قليلاً. لكن ما يمكنه ان يقول الآن ليخفي الحقيقة، وبدون أن يكذب؟ أولاً بلعت ريقها ورفت عينيها عدة مرات. وضعت يديها على الطاولة، وانحنت إلى الأمام قليلاً.

قالت: «لا يمكن ان تعني ما قلت.»

«لم أكن أقصد ان أقولها.»

«لماذا، إذاً؟»

صمت قليلاً، ومد يده عبر الطاولة ليغطي يديها بها: «لأن ذلك ما أشعر به. لم أكن منتبهاً. أو قلت ذلك بدون تفكير. انني آسف.»

نظرت إلى يده التي كانت تغطي يديها، وبلعت ريقها مرة أخرى. وسألت بهدوء: ««كيف تعرف؟»

حاول ان يستجمع افكاره: «حسناً. لأنني كنت مغرماً في السابق وكل البوادر موجودة. لا أستطيع أن أكف عن التفكير بك. ونصف ما أفكر فيه يؤدي إلى صفعي بصراحة.»

ابتسمت قائلة: «ربما.» وفجأة رفعت رأسها، ووجهها واضح وهادىء: «ربما لا.»

التقط انفاسه، لقد كاد صدره ان ينفجر في أي وقت. شد على يدها ثم تركها. وفجأة بدأ يتكلم مجدداً: «لقد كان الأمر سهلاً جداً مع كارول. لا مفاجآت. لا شكوك. التقينا ثم

www.liilas.com

اصبحنا قريبين من بعضنا. لا أتذكر من قالها قبلاً. ولكن معك...» هز رأسه، حاول ان يفتش عن الكلمات لتفهم. قال: «لقد كنت جالسة في المكتب ذلك اليوم. تتفحصينني لتتأكدي ان تأثيري على ابنك سيكون حسناً. ثم ابتسمت، وارتحت. وشعرت عندها انني قد قسمت إلى قسمين. كل مرة أراك فيها، كان ينتابني شعور بأن اقفز، أضحك، أحملك، وفي نفس الوقت كان الأمر يقلقني. هل انا أعجبها؟ هل تقبل بي؟ هل ممكن...» أغمض عينيه وتابع: «اعرف طبعاً، مباشرة بعد ان عانقتك، أن الأمر لم يكن متبادلاً. لذلك حاولت ان اكون صديقك.» فتح عينيه: «وأنا صديقك.»

هذه المرة كانت كلاريس من مدّ يده عبر الطاولة، لتأخذ يده بين يديها: «أعرف، ولكن...»

اجتاحه رعب حقيقي هذه المرة، وربما للمرة الأولى في حياته الناضجة: «لا تقوليها! ليس الآن، وليس في هذا المكان. انتظري حتى نتكلم في مكان خاص، أرجوك.»

مالت برأسها. نظرت باستغراب نحوه وقالت: «كنت أريد ان أقول انه يجب ان تجرب هذا العناق مرة أخرى، لنرى اذا كنت سوف تستنتج استنتاجاً آخر.»

استقام بسرعة، يجرب هذا العناق مرة أخرى؟ إستنتاجات أخرى؟ أرادت أن تجرب هذا العناق مرة أخرى. أخذ نفساً عميقاً حتى يعيد دقات قلبه إلى طبيعتها. فجأة، ظهرت المضيفة وهي تنحني لتضع صحناً بيضاوياً بين يديها. نظرت إلى المعكرونة الخضراء المغمسة بمرقة الماريترا الحمراء. أراد بولتن أن يرفع وجهها بين يديه ويضمها. أبعدت المضيفة هذه الفكرة من رأسه عندما

وضعت صحنه أمامه. أحس فجأة بالحاجة للتنفس. ملأ رئتيه بالهواء. نظرت كلاريس إلى الأعلى، ورفعت حاجبها. ابتسم ابتسامة خفيفة.

قال: «بعد هذا الإعلان، اعتقد انك تتخيلين انني أستطيع ان أنهي عشائي بدون أن اختنق؟»

ضحكت: «لا تقلق، انني معتادة على استخدام التنفس الإصطناعي.»

كانت فرحة، تمازحه، ولقد تأثر بعمق وبامتنان: «لا تتوقفين عن إدهاشي.»

ابتسمت، والتقطت شوكتها لتبدأ بالأكل. استطاع ان يقلدها، وبطريقة ما أنهى عشاءه. ولكن كيف تدبر أمره؟ لا يعرف. تحركت يده واختفى الطعام من صحنه. لكن بعد ذلك لا يتذكر شيئاً حتى طعم المعكرونة. لقد كان طائشاً، كصبي مراهق في أول يوم عطلة صيفية. لقد كان يريد ان يأخذها إلى زاوية معتمة ليعانقها. حاول الا يفكر بذلك، ولكن لم يستطع التفكير بغير هذا. لم يستطيع النظر اليها بدون ان يركز على فمها. حاول بصمت ان يتذكر أسماء الكتب، لكنه عبثاً حاول. لقد كانت يداه ترتجفان لدرجة انه خجل من ذلك. لقد كان ممتناً أكثر مما تستطيع أن تصف الكلمات، عندما اختفت المعكرونة من صحنيهما وعندما رفضت كلاريس الحلوى. واستطاع ان يدفع ثمن الطعام.

أخيراً، نهضا وبدأ الإثنان بالسير. حاول بجهد ألا ينظر في اتجاه مائدة عائلة كورلي، لذلك رحلا وهما لا يعرفان إذا كانا لا يزالان في المطعم. ترك كلاريس تصعد على الدرج أمامه. تنحت جانباً عندما وصلت إلى الأعلى،

www.liilas.com.vb3

وتركته يدفع الباب ليفتحه امام ليل صيفي ناعم، دافىء ومريح.

لم تكن الدنيا مظلمة، ولكن الشمس قد غابت. وظلال الغروب كانت تنير الشوارع وتجعل الهواء أكثر رقة. أخيراً كان الشارع بكامله لهما.

لم يجرؤ بولتن على لمسها. ليس الآن. سارا على جانب الطريق حتى وصلا إلى سيارته. لقد كان المكان مظلماً، وضوء مصابيح الطريق قد اختفى، ولم يصل بسبب شجرة صفصاف كبيرة على طرف الموقف. واكبها بولتن إلى مقعدها وفتح الباب. استدارت لتدخل إلى السيارة ولكن فجأة، لم يعد يريدها ان تدخل. لم يعد يتحمل، فعانقها بقوة وبشوق.

أخيراً، وبعد سماع أصوات بعيدة، استعاد وعيه وتركها. ولكنه لم يفتح عينيه، لأنه أراد ان يحفظ هذه اللحظة في رأسه. وعندما فتح عينيه كانت كلاريس في غاية الجمال. أغمض عينيه مجدداً فرحاً بنعمة الحب. بعد الآن وإلى الأبد. وعندما يحصي لحظاته السعيدة، سوف يتذكر دائماً هذه اللحظة. وسوف يتذكرها في أول اللائحة. نعم طبعاً في الأول.

الفصل التاسع

«لقد تركتني منتظراً لعدة أسابيع.»

«لقد فعلت ذلك، ولكنك قلت ان عليّ اختيار التاريخ والوقت المناسبين لي. وأنا مشغول جداً هذه الأيام.»

«مشغول بسبب مرافقة كنتي في المدينة.»

ابتسم بولتن، حسن على الأقل العجوز واضح وصريح اليوم. لا تشويش هذه المرة. وهذا احسن، ولكن كان على أحدهم ان يخبر وليز ريفير أنه حتى الكاهن يستطيع أن يتصرف بالشكل المناسب في الوقت الضروري، وخاصة هذا الكاهن. جلس بولتن بارتياح على الكرسي، واضعاً رجلاً فوق رجل.

«إنني اتمتع برفقة كنتك. وأنوي ان اتمتع قدر المستطاع.»

سأله العجوز بلطف متصنع: «وبأي ثمن؟»

رمقه بولتن بنظرة صريحة: «أي ثمن.»

ضحك العجوز بصوت خفيض: «لا أعتقد ذلك، سوف ارفض أن أعطيك إذناً برؤية الصبي.»

«ارفض بقدر ما تريد. فأنت لست الوصي على الصبي، كلاريس هي الوصية.»

أجاب وليز: «لقد خنت واجبك. لقد أثرت على الصبي بشكل سيىء، وعلى الأم بشكل أسوأ. لقد كان ولداً مطيعاً هادئاً قبل ان تتدخل أنت.»

www.liilas.com/vb3

صحح بولتن: «لقد كان مكبوتاً، طفلاً حزيناً قبل أن اتدخل. والآن هو ولد طبيعي.»

«توقعت أن تعلّمه احترام الكبار.»

«هو يحترم ويطيع الكبار حتى من دون أن أعلّمه.»

«إنه لم يعد كذلك، فهو يجادل أمه، ويجادلني كلما أتيحت له الفرصة.»

«كأي ولد طبيعي.»

«لقد أصبح من المتعذر ضبطه.»

«هذا خطأ. إنه لم يعد تحت سيطرتك بعد الآن.» استقام بولتن في جلسته: «قل لي شيئاً يا وليز. ماذا توقعت بالضبط عندما كلفتني بهذه المهمة؟»

«توقعت ان تعطيه بعض التأثير الرجولي، وأن تبعده عن مئزر أمه.»

هز بولتن رأسه: «آه. أعتقد أنني قد أساعدك في التخفيف من تأثير كلاريس على ابنها.»

عبس العجوز، وحرك كتفيه مدافعاً: «لا، ليس صحيحاً. إنها تدلل الصبي كثيراً، وتعامله كالأطفال.»

قال بولتن بعناد وتصميم: «تريده تحت سيطرتك التامة. ولكنك محكوم بهذه الكرسي. من السهل إبعاد الولد عن سيطرة أمه عندما تبعده جسدياً، أليس كذلك؟ احتجت إليّ، لقد كان من المفروض ان أكون بمثابة قدميك، ما عدا تلك الأوقات التي تريده هنا، لتملأ رأسه بتعابير حمقاء عن الإخلاص لوالد ترنت.»

«كيف تجرؤ! على الصبي ألا ينسى والده! حاولت أن أبقي والده حياً في ذاكرته.»

«لقد حاولت ان تحوّله إلى والده. ولكن هذا الكرسي منعتك من تكرار عملك السابق. لم تكن تستطيع أن تجره معك، لتمنعه من تمضية الوقت مع أمه، لم تستطع أن تبقي أمه في البيت، أيضاً. سيفيد أكثر لو استطعت ان تبقي المرأة الصغيرة في البيت، أليس كذلك؟»

استدرك بولتن، هل تمادى قليلاً؟ فوجه الرجل العجوز أصبح أبيض كالأموات. يداه المرتجفتان متعلقتان بصدره، وردة فعل بولتن كانت ان الرجل العجوز قد أصيب بنوبة قلبية. ولكن هذا الوجه الشاحب تحرك، وعرف بولتن ان ما كان ينظر إليه هو غضب جامح.

صرخ وليز: «لقد سرقت عائلتي مني! وقد فعلت ذلك من خلال الإغراء. أي نوع من الرجال أنت! لا يجرؤ أي رجل دين على فعل ما فعلته، أن يغري زوجة رجل آخر!»

كان هذا شبه متوقع: «لا تكن سخيفاً.»

«لقد رأيتها بعد ما انتهيت منها.»

نهض بولتن على قدميه، وهو غاضب كما لم يغضب يوماً. ولكن بما أنه يعلم ان الهدوء أحسن من لسان لاذع، هدأ اعصابه: «أولاً، هي ليست زوجة أحد، إنها أرملة. ثانياً لا أحد منا فعل ما تحاول التلميح إليه.»

النظرة التي كانت على وجه وليز كانت شيطانية: «سوف نرى ما سيقوله رعية كنيستك.»

«أعتقد أن مصداقيتك مع الرعية لا تبلغ حد مصداقيتي معهم.»

قال: «مع البعض ربما، ولكن ليس مع الكل.»

والتقت عينا بولتن بعيني العجوز وقال: «ليكن ذلك.»

www.liilas.com/vb3

«سوف أدمرك.»

استدار بولتن واتجه نحو الباب، ولم يعد يستطيع أن يمسك اعصابه أكثر من ذلك. «لا أعتقد ذلك أنا لم أفعل أي شيء خاطىء. ولا حتى كلاريس، أوه شيء آخر...» توقف ونظر خلفه: «أنا لم أنته منها، ولن أنته منها أبداً.»

توجه نحو الباب وفتحه: «إنني أحب كلاريس، وأنوي أن أتزوج منها. فكر بذلك، يا ريفير، وتذكر من سيكون الرابح، وخذ بعين الإعتبار حفيدك.»

تجمد وجه العجوز، ولكن هاتين العينين الخضراوين لمعتا بالحقد، وضاقتا وهو يقول: «أنا ساكون الرابح، أيها الكاهن، كما ستكتشف لاحقاً.»

قرر أنه من الأفضل أن يخرج، وصفق الباب وراءه. لم يكن الباب الشيء الوحيد الذي اراد ان يصفقه، ولكن للكهنوت ثمن، ولقد كان دائماً جاهزاً ليدفع الثمن، ولكنه لن يدع كلاريس أو ترنتون يدفعان الثمن لوليز ريفير. عليه ان يقنع كلاريس بالزواج منه، وكلما قام بذلك خلال وقت قصير، كان ذلك أفضل للجميع. والآن لو أنه يستطيع ان يفعل ذلك، وكانه يجترح معجزة.

داعبت كلاريس شعر ترنتون، وابتسمت له: «لا أدري ما الأمر، ربما يريدنا أن نرى منزله.» قالت ذلك للمرة السادسة تقريباً. تراجعت إلى الوراء، واستدارت حول نفسها. السياج المزركش بطريقة لائقة، كان يتلاءم مع النوافذ الطويلة للمنزل. إنه منزل غريب، شبيه بالكنيسة، ولكن بدون القرميد القاتم. بدل ذلك، لقد كان محاطاً بأشجار الأرز الصلبة. المدخنة والممر الأمامي كانا مشيدين من أحجار

متنوعة، والممر كان محاطاً بحوض ترابي. من الواضح انه كان مزروعاً بالأزهار. البيت يكون جميلاً جداً، وهو مغطى بنبات اللبلاب، سلال الورد على حافة الشرفة. وهو في حاجة إلى بعض الطلاء. نظرت نحو ترنتون متسائلة عن ردة فعله.

قالت: «إنك تلتقي بولتن أكثر مني. أخبرني ما الأمر؟»

هز ترنتون رأسه وضحك، ولكنه كتم ضحكته مظهراً وجه رجل صغير، وليس وجه صبي، ولكنه غير واثق وقلق. شعرت بأن قلبها كاد ينعصر بيد قاسية. لكنها نكرت نفسها أن الندم لا يفيد. الشيء المهم هو أن رجلها الصغير تحوّل إلى صبي صغير مجدداً، وأنها تتحوّل إلى الأم التي تريد. أصلحت شعره بيدها.

سألته بلطف: «ما الذي يزعجك؟»

الراحة التي ظهرت في عينيه أخبرتها أنها قد فعلت وقالت الشيء الصحيح.

هز كتفيه محدقاً بها بهاتين العينين المليئتين بالأمل وقال: «ماما، هل تحبين بولت كما أحبه؟»

أحست باهمية السؤال وصعوبته، ولكن غريزتها أخبرتها أن الصراحة هي الطريقة الوحيدة الصحيحة لهذا. هزت رأسها: «أعتقد ذلك، بولتن رجل مميز.»

قال بصوت تواق: «ربما يريدنا أن نعيش معه.»

ها هو، الأمل في سؤال ابنها، والمصدر من وراء قلقه وعصبيته. تملكها الرعب. لطالما أحست بهذا، كلما فكرت في الخطوة التالية في علاقتها مع بولتن. ولكن بطريقة ما، لم تكن يوماً خائفة وهي معه. لا بد أن لذلك معنى حقيقياً.

www.liilas.com

إنها متأكدة ولكنها لا تعرف ما هو. أبعدت التشويش عن رأسها، وركزت على ابنها: «لماذا تقول هذا؟ هل لمح لك بولتن بذلك؟»

نظر ترنتون إلى الأسفل، واعترف مضطراً: «لا» ثم نظر إلى الأعلى، وكله أمل من جديد: «ولكنه يحبنا كما نحبه، أعرف أنه يحبنا.»

أخبرته مطمئنة: «أنا متأكدة من أنه يحبنا، ولكن هذا لا يعني أنه يريدنا أن نعيش معه.»

سألها الصبي: «ماذا ستقولين إذا دعانا إلى العيش معه؟»

لقد توقعت هذا السؤال، ولكن لم تحلم يوماً بأنه سوف يسألها. ولم تستطع إلا أن ترد بجواب واحد: «لا أعرف»

لقد كان ذلك قريباً من الحقيقة. لن يطلب منها بولتن أن يعيشا معه هكذا بكل بساطة. الشيء الذي يسأل عنه ترنتون هو ما يسمى الزواج. وهذا ما سأل عنه ترنتون. ولكنها لا تعرف ماذا تقول. لا يمكن أن تنكر انها تحبه. تحبه بكل ثقة، كثقتها بأنها لا تحب ترنتون الكبير، ولكنها لن تندم على زواجها السابق، لأن أحسن ما لديها من هذه الحياة هو ثمرة هذا الزواج. ابنها كان ثمرة زواجها. ولكن حزناً كثيراً اصابها من جراء هذا الزواج أيضاً، لدرجة أنها ستتصرف بغباء وتتزوج. إنها تحب بولتن، ولكن هذا لا يضمن النجاح، فهي تريد استقلاليتها وتحتاج إلى السيطرة على حياتها. بدا أن رغباتها الشخصية تتعارض مع ذلك. ولقد كانت منزعجة لعدم قدرتها على اتخاذ القرار المناسب.

من الواضح ان ترنتون لم يعجبه جوابها، ولكنه لم يضغط أكثر من ذلك. بدل ذلك، القى نظرة على الجرس، ومن ثم على والدته طالباً الإذن بأن يقرعه. أومأت برأسها، فضغط على الجرس الصغير المدور بإصبع متسخ قليلاً. هزت كلاريس برأسها متعجبة من التغير في ابنها. لقد كان دائماً نظيفاً. ولكنها أدركت الآن أن ذلك كله، كان نوعاً في محاولة إرضاء جده وأمه وربما لحمايتها. أو هل كان ذلك رداً على عدم قدرتها على تحمل المسؤوليات؟ من مسؤولياتها أن تكون ناضجة. حسناً، لقد انتهى كل شيء الآن. لن تتخلى عن مسؤوليتها بعد الآن... أو أن تسلم استقلاليتها. بكل بساطة لا تستطيع، وبرغم ذلك فهي تحب بولتن. هذا ما كان يدور في رأسها عندما فتح الباب.

أشرق وجهه بابتسامة: «أهلاً بكما، تفضلا. لقد كنت أرتب البيت قليلاً.»

كان يحمل على كتفه ممسحة للغبار. لاحظت كلاريس أنه كان يرتدي ملابس عادية، سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً وجوارب بيضاء مع حذاء رياضي. ولاحظت أيضاً أن جسمه كان رياضياً. وكالعادة عند رؤيته، أحست بمشاعرها وحواسها مضطربة جداً. إنها تستطيع أن تشتم رائحة صابون حمام، ودواء تلميع الأثاث، ورائحة العرق، رائحة الأرز، وأيضاً رائحة القهوة القوية. إنها تشعر بالتيار الهوائي البارد غير الواضح وهو يعبر الباب ويلامس وجهها وحرارة الشمس القوية، وتتسارع خلجاتها.

كلما اقتربت من بولتن، كانت تستطيع ان ترى بروز عضلاته من تحت القميص القطني، والشعيرات الدقيقة على

www.liilas.com/vb3

ذراعيه، وأخيراً نظرات الترحيب والقلق معاً في عينيه. لقد كانت نظرته هي التي جعلتها حذرة جداً.

لحقت ترنتون إلى داخل البيت. كان المدخل صغيراً. أحد الجدران كان لونه أصفر ناعماً والجدار كان نوعاً من المشربية الخشبية. ومن خلال الفتحات الخاصة في المشربية، استطاعت أن تلمح غرفة كبيرة مع أثاث أبيض مريح. الإنطباع العام كان مريحاً وقريباً من بولتن نفسه. أحبت الغرفة حتى قبل ان تدخل.

بعد الحاح بولتن، جلست هي وترنتون على الأريكة، بينما خرج ليرجع وبيده صينية مع أكواب من الشاي المثلج. من الواضح انه قد وضعها في البراد مع الصينية لأنها باردة.

غرق بولتن في الأريكة المواجهة لهما، ووضع رجلاً فوق رجل، ابتسم لهما، وشرب جرعة كبيرة من الشاي ثم قال: «آه، لا شيء أطيب من الشاي البارد في يوم حار.»

قال ترنتون: «أحب الكولا أكثر.» ثم شرب من الشراب ومسح فمه بيده وقال: «ولكن هذا جيد جداً.»

التقت نظرة بولتن المتعجبة بنظرة كلاريس، ثم أنزلها نحو ترنت: «إنه شاي الشمس. علمتني امي كيف أعده. إنني أحفظ ابريقاً كبيراً منه معلقاً على شجرة في الخلف.»

تعجب ترنتون وقال وهو متحمس: «لا مجال!»

«بصراحة. إنني أقوم بإعداد شيء منه الآن. يمكنك أن تخرج، وترى بنفسك بعد لحظة. الآن، أريد أن أتكلم معك ومع أمك.»

توترت كلاريس على الفور، الراحة والترحيب اللذان سادا

الغرفة، قد تبددا. ارتشفت الشاي، وحاولت أن ترتاح، ثم قالت: «عمَ تريد أن تتحدث؟» ثم عادت فوراً لشرب الشاي. الشاي كان منشطاً، ولكنها بالكاد لاحظت ذلك.

استقام بولتن في جلسته، ووضع كأسه جانباً. وقال وهو يمسك يدي الصبي في قبضة قوية محكمة: «ترنت، أعتقد أنك تعلم أنني أحبك.» هز الصبي رأسه ونظراته مركزة.

ابتسم بولتن بلطف وتابع: «أعتقد أنك تعلم أيضاً أنني أحب والدتك.»

كادت كلاريس أن توقع كأسها، وتختنق من الشراب. سكبت بعض قطرات الشاي على الطاولة، ومسحتها بسرعة بأطراف أصابعها. كل هذا حدث ولم تتلق إلا نظرة من ابنها، ولم يلاحظها بولتن.

قال ترنتون بواقعية: «تريدنا أن نأتي ونعيش معك، أليس كذلك؟»

ابتسم بولتن: «نعم، هذا ما أريده.»

هز ترنتون كتفه، ووضع كأسه إلى جانب كأس أمه وقال: «حسناً، هذا حسن بالنسبة إليّ. هل هذا يعني أنك تريد أن تتزوج أمي؟»

أجابه بولتن بخفة: «هذا يرجع إليها هي، ألا تعتقد ذلك؟»

«نعم، أعتقد ذلك.»

فغرت كلاريس فمها لعدم المبالاة التي تقبل بها ترنتون فكرة انتقاله إلى منزل لم يعش فيه من قبل. صدمتها من الطريقة التي جرت بها المحادثة، كانت من الشدة بحيث أنها لم تلاحظ أن الإثنين كانا يحدقان بها، وعندها انزعجت

www.liilas.com/vb3

أكثر. فهذا غير عادل! كان من الواضح، أن من غير العادل أن يأخذ بولتن موافقة ابنها هكذا. لقد قررا وحدهما، كأن شعورها يأتي في المرتبة الثانية. حسناً إنها لن تتحمل ذلك، هذه حياتها! لا بد أن هذه الفكرة وصلت إلى بولتن لأنه تنهد، ثم أعاد اهتمامه إلى ترنت للحظة: «هل لك أن تتركنا أنا ووالدتك قليلاً؟»

«طبعاً، هل يمكنني ان أخرج لأرى الشاي الآن؟»

«طبعاً.» أشار بولتن نحو الباب. «عبر المطبخ ثم إلى الخلف، لا يمكنك أن تخطىء.»

ركض ترنتون خارج الغرفة من دون أن ينظر نحو والدته.

أصبحت كلاريس غاضبة الآن. كيف يجرؤ ويفعل هذا بابنها؟ ترنتون كان طفلاً، ولذلك فمشاعره يمكن التلاعب بها بسهولة. هذا تخطيط دنيء من بولتن. وقيامه بذلك أصابها بخيبة أمل. فتحت فمها لتقول ذلك ولكنه سبقها:

«أعرف، أعرف. كان رخيصاً. ولكنني تصورت أن ذلك يستحق القيام به. إنه عمل رجل يائس، ولكن على الأقل يمكنك ان تعرفي ان ترنتون لا يمانع في ذلك.»

«ألم يمكنك مناقشة الأمر معي؟»

«إعتقدت أن هذا أفضل. فمن الواضح أنني كنت مخطئاً، ولكن هذا لا يغير شيئاً في ما يخصني. أحبك وأريد ان أتزوجك. عليّ أن أخبرك أنني تكلمت مع وليز هذا الصباح.»

نهضت بسرعة رهيبة: «هل أخبرته بأنك ستفعل ذلك؟»

«أراد أن يمنعني من رؤيتك، وعندما أوضحت أنني لن أفعل ذلك، هددني بفضيحة.»

احتدت نظرتها، وهي تحدق به: «أية فضيحة؟»

ابتسم بسخرية: «سوف يعلن للكنيسة أنني أغويتك!»

«أغويتني! ولكن هذا غير صحيح.»

«نعم هذا غير صحيح، والأكثرية سوف تعرف ذلك.»

استنتجت: «ولكن البعض سوف يشككون، وذلك سوف يمنعك من القيام بواجبك كما تريد.»

أحنى رأسه: «لا أعرف، ربما، ولكن هذا ليس السبب لزواجي منك يا كلاريس، أحبك وأعني ذلك.»

يحبها. الفكرة كانت تريحها هذا صحيح. يحبها، وهي تعرف ذلك. ولكن فكرة أخرى طرحت نفسها، ألا وهي الاستقلالية، العيش على طريقتها، أخذ قراراتها بنفسها، القيام بشؤونها الخاصة، الوقوف على رجليها بمفردها. توجهت نحو النافذة مبتعدة عن طاولة القهوة. المستقبل، الماضي وصنع الحاضر هي صراع مرير وشديد. يحبها. لقد كانت متحمسة وغاضبة في آن معاً. يحبها ويريد أن يتزوج منها. إذا تزوجا، لن يقلقا من وليز ومن أحاديثه عن اغواء بين زوجين.

تمتمت: «أنا سأكون المنقذة هذه المرة ولكن هل هذا يشكل تغيراً؟»

سألها بلطف: «هل كان الأمر كذلك؟»

ابتعدت لأنها لاحظت أنه أقرب مما تصورت، وقالت: «ماذا؟»

سألها: «لهذا تزوجت من والد ترنت؟ اعتقدت ذلك بسبب ما أخبرتني به قبلاً. لقد كنت صغيرة. قتل والدك في حادث سيارة، ولم يكن عندك أي قريب. أنقذك، أليس كذلك؟ أعطاك مكاناً لتلجئي إليه، وأشخاصاً لتكوني معهم.»

www.liilas.com.vbs

قالت: «نعم. لقد أنقذني، ولقد كنت ممتنة. حاولت بجهد أن أكون المرأة التي أرادها. وأعتقد أنني كنت كذلك لفترة. ولكنه لم يمنعني من أن أكون تعيسة جداً.»

«هل أحببته؟»

هل أحبته؟ إنها تعرف الجواب جيداً. «لا. وأعرف الآن أنه لم يحبني. لا، أعتقد أنه لم يكن يريد أن يحبني. لقد أراد زوجة تسهل السيطرة عليها، ولعلني كنت كذلك. ولكن لا أريد أن أكون كذلك الآن، يا بولتن.»

استدارت ليرى صدق كلماتها: «لا يمكنني أن أكون الزوجة المطيعة دائماً.»

«لا أحد يطلب ذلك منك، ربما هذا ما أراد هو، ولكن هذا ليس ما أطلبه أنا. أحبك يا كلاريس، أحبك كما أنت في هذه اللحظة. وكما تكونين غداً، ولكن سوف أحبك، وسأحبك طوال حياتي. هذا إذا سمحتِ لي. أحبك في الفرح، الغضب، العطف، في كل الأوقات. كل ما أطلبه هو ان تحبيني بالمقابل. هل يمكنك ذلك؟ هل تحبينني؟ لأنك إذا...»

توقف عن الكلام، ولم يتابع ما كان سيقول. هل هي تحبه؟ تمنت لو أنها لم تحبه. كم ستكون الأمور سهلة لو أنها لم تحب بولتن تشارلز، ولكن التمني لا يجدي نفعاً. إلى جانب هذا، لقد انتهت من القسم السهل، ولن يفيد إذا نكرت حبه. سوف يعرف. فقط لأنه بولتن. لذلك سوف يعرف. رفعت يداً نحو خده وقالت بكل بساطة: «أحبك.»

أغمض عينيه كأنه ارتاح من حمل ثقيل ومتعب. ضمها نحوه وعانقها، وشعر بدموعها وقال: «لا، لا تبكي، أرجوك لا.»

مسح الدموع بأطراف أصابعه: «هذه دموع فرح، أليس كذلك؟»

نفت ذلك، وتراجعت إلى الوراء: «لا، ليست دموع فرح.»

«لا أفهم.»

«أنا أعرف. ولكن لن أكون زوجة صالحة لك.»

«هراء.»

«لا. ليس كذلك، إنك كاهن. الناس يتوقعون من زوجة الكاهن الكثير، ولا يمكنني أن أكون حسب توقعاتهم.»

«لا، انك تستطيعين القيام بذلك...»

«نعم، أستطيع، ولكنني لا أريد يا بولتن. هناك أشياء أريد أن أقوم بها لنفسي، أشياء عليّ القيام بها.»

«مثلاً؟»

«الجامعة. أريد أن أدخل الجامعة.»

لقد قررت ذلك منذ فترة قصيرة، ولكن النطق بذلك جعله مهماً جداً. التقطت أنفاسها منتظرة ردة فعله، ولكن بقي وجهه كما هو. هز كتفيه غير مبالٍ.

«حسناً. هذا جيد. أية جامعة تريدين الإنتساب إليها؟»

فتحت عينيها مذهولة: «لا... لا أعرف.»

«جيد، ماذا تريدين أن تدرسي، إذاً؟»

«لا أعرف!»

ضحك وقال: «لا يهم، ادرسي ما تريدين. لا يشكل هذا مشكلة.»

«لن يحصل...؟»

«لا.»

هل يعقل؟ هل فعلاً لا يزعجه؟ قالت: «إنك تسهل الأمور.»

www.liilas.com/vb3

أخبرها: «إنها سهلة. تريدين الدخول إلى الجامعة. هذا يعنيك أنت، ولا يشكل عندي أية مشكلة.»

رفعت حاجبها. بدا الأمر سهلاً. سهل جداً، ربما. هزت رأسها: «هذا ليس كل شيء. أريد أن أكون شخصاً كاملاً له قراراته الخاصة.»

أجابها بالطريقة المدهشة ذاتها: «طبعاً. هذا طبيعي. أريدك أن تكوني زوجتي لا عبدتي.»

طبعاً ليست عبدته ولكن... جادلته: «ولكنك لست وحدك المتورط.»

عبس: «لا أعرف من يمكنه أن يتورط بالزواج غيرنا. هناك ترنت طبعاً، وكل الأولاد الذين قد يأتون في المستقبل. سوف ننجب أطفالاً، أليس كذلك؟ أحب أن يكون لي أطفال، ألا تحبين ذلك؟»

«نعم. نعم. ولكن هذه ليست النقطة الأساسية. أنا لا أتحدث عنا، وعن أطفالنا.»

ابتسم لها ابتسامة متفهمة وسخيفة أزعجتها لسبب ما. شرح بصوت أجش: «قلت ذلك كأنه أمر واقع.»

«ما هو الأمر الواقع؟»

«نحن وأولادنا.»

لقد كانت هذه الجملة تحمل صدى جميلاً وجذاباً، ولكنها أغمضت عينيها. بودها لو سدت أذنيها لو استطاعت. «لقد كنت أتحدث عن رعية الكنيسة.» فتحت عينيها: «هناك بعض التوقعات من زوجتك. سوف يتوقعون مني أن أنضم إلى نشاطات الكنيسة مثل كارول، ولكني لست كارول.»

وافق بلطف: «لا، لست كارول. وأنا لا أريد أن تكوني مثل كارول. رحلت كارول، وأنا أحبك. أحب كلاريس ريفير، إذا اعتقد أي أحمق أنك ستكونين كارول أو حتى مثلها، سوف نغير توقعاته.»

«ماذا إذا لم نستطع ذلك؟»

«ليست مشكلة.»

«لكن ماذا لو أصبحت مشكلة؟»

«هناك كنائس أخرى، يا كلاريس.»

إلتقطت أنفاسها: «هل تفعل ذلك من أجلي؟»

«سوف أفعل ذلك من أجلنا إذا شعرت أن القدر يريد ذلك، وأنا مقتنع أكثر من السابق بأن القدر يريدنا مع بعضنا.»

«لا يمكن تأكيد ذلك.»

«أعتقد أنني أستطيع، وأعتقد أيضاً أنك ستدركين ذلك.»

قالت والدموع تتساقط من جديد: «آه يا بولتن، لماذا لم التقيك من قبل؟»

قال: «لما كان عندنا ترنت في هذه الحالة، وأنا لم أكن لألتقي كارول، ولم تعلمني كيف أحب المرأة، كيف أحبك. لقد علمتني كيف أحبك.»

سألت كلاريس: «وهل تستطيع أن تعلمني؟»

«نعم. هذا إذا سمحت لي، ولكن الخيار لك. عليك أن تختاري الحب لتحصلي عليه، يا كلاريس. عليك ان تختاري أن تكوني معي، أن تبقي معي، أن تدعيني أحبك. عليك أن تختاري أن تحبيني. لا أطلب منك أن تتنازلي عن شيء، يا كلاريس، على الأقل لا شيء من شخصيتك. أطلب منك أن تختاري.»

www.liilas.com/vb3

اتجه نحوها، ووضع ذراعه حول كتفيها وهمس: «اختاري أن تكوني معي يا كلاريس. أرجوك.»

قالت وهي تضع رأسها على كتفه: «أريد ذلك، فعلاً، ولكنني لست واثقة. عليّ أن أكون واثقة.»

ضمها وقال: «سوف تتأكدين، إنني واثق.»

«أتمنى ذلك.»

سأل ترنتون: «هل كل شيء على ما يرام؟»

قال بولتن مبتسماً: «راهن على ذلك. لقد طلبت يد أمك للزواج، وهي تفكر.»

رفع قبضته إلى الأعلى، ثم إلى الأسفل وقال: «حسناً! حسناً.»

ابتعدت كلاريس عن بولتن وعلقت: «لم أقل نعم.»

قبض بولتن على يديها، وقال وهو يضم ترنت: «ولكنني أعمل على ذلك.»

ضحك الصبي موافقاً جداً على الموضوع.

تابع بولتن: «والآن ما رأيك بالشاي؟»

سأل الصبي مسهلاً على بولتن تغيير الموضوع: «متى ستسحب هذه الأشياء البنية؟»

«مغلفات الشاي؟ أسحبها عندما يصبح الشاي باللون المناسب.»

«أليس مناسباً، الآن؟»

«لا أعرف. لماذا لا نذهب ونتأكد؟ وبعدها ما رأيكما لو أعددنا العشاء؟ هناك في البراد ثلاث شرائح من اللحم مع بعض السلطة، وعصير الذرة.»

«الذرة... مم مم...»

أعلن بولتن: «هذا تصويت إيجابي أكيد، ما رأيك يا ماما؟»

نظرت نحوهما كلاريس، الشخصان اللذان تحبهما في العالم، الشخصان اللذان يحبانها، وعلمت أنها لا تريد أن تكون مع أحد غيرهما. لاحقاً ستفكر بالمستقبل. لاحقاً ستقرر. هذه الليلة سوف تمضيها هكذا. غداً سيكون كافياً للقلق والتساؤل وأخذ القرارات غداً... أو بعد غد أو...

قالت: «أنا سأعد السلطة، ترنت سوف ينظف الذرة وأنت...»

أشارت بعطف نحو بولتن: «يمكنك أن تقلي شرائح اللحم.»

ضحك وانحنى نحوها وهمس: «إنني أستطيع أن أفعل أشياء أكثر من ذلك، ويوماً ما سأبرهن ذلك.»

لسبب ما وللحظة، عصر يدها وتركها، وتحرك إلى الخارج يتكلم مع ترنت. لم تشك الآن. الشكوك كانت للغد... الشك والإختيار.

www.liilas.com/vb3
noorah

الفصل العاشر

انها دعوة عادية وواضحة، ولكن هذه المرة لم يكلف نفسه التظاهر بالتهذيب. هذه الدعوة كسابقتها، عليه أن يحضر إلى منزل ريڤير على الفور، ولكن إذا تأخر، فسوف يواجه بتهمة فساد أخلاقي. فساد أخلاقي... ضحك بولتن لهذا التعبير. لقد أصبح ريڤير عاطفياً جداً بالنسبة لعمره. هل هذا دليل يأس؟ تمنى ذلك بشدة. هذا يعني أن كلاريس بدأت تميل نحوه، وأن ريڤير لاحظ أنه بدأ يخسر المعركة. كم اتمنى أن يحصل هذا. لم يكن ريڤير الرجل الوحيد اليائس. الصبر، قليل من الصبر.

طوى بولتن الورقة، ممرراً ظفره على طرفها وهو يفكر. ماذا سيفعل؟ انه يكره أن يلبي طلب ريڤير لأن ذلك سير ضيه. لم يكن خائفاً من ريڤير. ليس لديه سبب ليخاف منه. برغم كل شيء فهو واحد من رعاياه، وليز ريڤير كابن ضال، ابن عنيد وضال، ولكنه شخص من رعاياه، لا شيء أكثر أو أقل، وبولتن هو مرشد هذه الرعية. عليه أن يعرض المساعدة والعون على وليز ريڤير، حتى لو أن احتمال قبوله لهذه المساعدة ضئيل جداً. انه لا يريد أن يذهب. لقد دهش لدرجة عدم رغبته في الذهاب، ولكنه نهض عن الكرسي وابتعد عن المكتب، ليأخذ معطفه من على عمود المعاطف، ارتدى معطفه، وتوجه إلى خارج المكتب. تجاوز مكتب كورا بيمز وهي تقوم ببعض الأعمال المكتبية.

سألته والقلم في فمها، وواحد آخر مشبوك في شعرها: «أذاهب أنت؟»

ابتسم: «إلى منزل ريڤير. سوف أتأخر على ما أظن.»

عبست، وأوقعت القلم من فمها، وتركت ما كانت تقوم به وقالت: «اعتقدت أن هذه الرسالة اليدوية تحمل سوءاً. ولم أعتقد أنها من ترنت. إذاً أنت ذاهب إلى عرين الأسد؟»

ابتسم بوهن وهز رأسه: «انه نوع من تلبية نداء أحد أفراد القطيع، لأن ذلك واجب على الراعي.»

قالت متأملة: «إذا الراعي لا يحسن التبصر. فليس هناك أي خروف، بل ثعلب في جلد خروف.»

اعترف قائلاً: «ربما، ولكن عليّ أن أحاول.»

عادت إلى عملها: «هل هناك من شيء جديد؟»

لا شيء، لا شيء مطلقاً، ولكنه لم يجبها وغادر المبنى ليصل إلى المدخل ومن ثم إلى موقف السيارات. كان قد ترك نوافذ السيارة مفتوحة. لقد كانت السيارة حامية من شدة الحر. انه شهر أيلول ـ سبتمبر ولكنه كان يشبه شهري حزيران وتموز (يونيو ويوليو) أكثر. فك ربطة عنقه وأدار المحرك. بعد خمس دقائق، وبسبب الهواء الحار شعر كأنه سيذوب.

أدار المكيف، ولكنه بدأ يعطي مفعوله في الوقت الذي وصل فيه إلى منزل ريڤير، ولكن الوقت كان قد تأخر. أوقف السيارة في الظل، وأنزل زجاج النوافذ مجدداً، تحرك نحو البيت. ظهر القط جنرال وقفز إلى عتبة الباب كأنه كان ينتظر بولتن طوال النهار ليدخله إلى المنزل. سأل بولتن القط: «الحر ضايقك؟» حرك القط أذنه رافضاً.

www.liilas.com/vb3

«اخرس واقرع الجرس، هذا ما تريد؟» قرع بولتن الجرس ونظر إلى الأسفل مجدداً: «أراهن على أنك تتمنى لو أنك تملك اصبعاً.» هذه المرة جلس القط ولم يحرك أي شيء. قال بولتن بينما فتح الباب: «وأنا أملك أذنين، ليس مثلك أذناً واحدة.» لم يكن وجه تيريزا من رحب به، بل وجه كلاريس الشاحب.

«حبيبتي، ما الأمر؟»

هزت رأسها: «انني غاضبة جداً.» مدت يدها نحوه وقالت: «لكنني الآن فرحة جداً لأنك هنا.»

أمسك بأصابعها وشد بقوة. تركها تقوده إلى الداخل. عبر القط من بين قدميه، واتجه نحو المطبخ. أغلق بولتن الباب بيده، واستدار نحو كلاريس.

«وليز؟»

هزت رأسها: «أخبرته ترنت أننا سننتقل للعيش معك.»

«آه.»

«يمكنك أن تتصور ماذا فعل.» رفعت يديها إلى كتفه ووضعت رأسها على صدره: «بولتن، لقد اتهمني بأشياء حقيرة.»

غضب بارد وقاس تملكه. اشتدت يده على شكل قبضة وقال غاضباً: «أين هو؟»

«في المكتب. ولكن انتظر. لم أخبرك كل شيء. عندما شرحت له أنك طلبت الزواج مني تحول إلى مجنون. أخرجني من المكتب، ثم أرسل حفيد تيريزا بهذه الرسالة. أخبرته انه إذا كان يريد التكلم معك فليتصل بك هاتفياً، ولكنه كالعادة تجاهلني. ثم، منذ لحظات سمعته يكلم

أحدهم على الهاتف. لا أعرف من، ولكنه ما زال غاضباً. انني خائفة يا بولتن، سوف يؤذي نفسه.»

تمتم بولتن: «أوشخصاً آخر.»

«صحته منحرفة. يمكن أن يصاب بنوبة.»

أغمض بولتن عينيه وهدأ أعصابه. انها على حق. بلع ريقه مقنعاً نفسه بوضع عواطفه الخاصة تجاه كلاريس جانباً. ليس له الحق في هذه المشاعر حالياً. وإلى جانب ذلك لقد أتى اليوم ككاهن وليس كحبيب. أخذ نفساً عميقاً وقال: «سوف أتكلم معه.»

أخذت يده بين يديها وقالت: «شكراً، أعرف أنني أستطيع الإعتماد عليك.» شعور دافيء ملأه، ثم تبسم لها وقال: «دائماً.»

استدارت واتجهت نحو المكتب. عندما وصلا رفع يده نحو ذراعها. أوقفها واتجه وحده نحو الباب، قرعه بحدة ولمرة واحدة، فتحه ودخل. كان وليز ريفير يجلس في وسط الغرفة أمام الموقدة الباردة يداه ممسكتان بعجلتي الكرسي. رفع رأسه ونظر نحو بولتن نظرة متغطرسة، عيناه الخضراوان تلمعان بشدة وفمه مغلق بإحكام.

«انك تحاول أن تصل إلى القمة، أليس كذلك، أيها الموقر بالنسبة إلى كاهن في مدينة صغيرة؟»

انها جملة غريبة، غريبة لدرجة أن بولتن قرر أن كلاريس محقة. فلقد أصبح وليز مجنوناً. تروى قبل أن يجيب واضعاً يده في جيبه وقال: «كنتك قلقة عليك. ربما عليك أن تتصل بالطبيب.»

ضحك ضحكة خافتة: «اتصل بمن شئت. لن يشكل هذا

www.liilas.com/vb3

فارقاً. ليس هناك مكروه بي، لا مكروه بخصوص عقلي أيضاً. انك أنت من لا يفكر بوضوح.»

عبس بولتن. هناك شيء ما، وهو لا يدري ما هو بعد. «لا أفهم، يا وليز. ما هو الذي لم أفهمه؟»

أعلمه وليز: «كيس النقود.» كان الغرور يملأ كل كلمة. «أي كيس النقود، يا وليز؟؟»

صرخ الرجل: «أي كيس نقود؟» بدا فرحاً ومسروراً من نفسه. ابتسامته كانت واضحة جداً على وجهه النحيل.

شعر بشيء من الحذر: «انك لا تقول أي شيء منطقي. أعتقد انني ساعود مرة ثانية عندما ترتاح.»

ضحك العجوز من كل قلبه: «اعتقدت أنها تملك مالاً خاصاً بها، أليس كذلك؟»

هز بولتن رأسه، بدأ يفهم، فهم ما قصده بكيس النقود، مالها الخاص. عندما أخبرته كلاريس بأنها تريد الزواج جن جنونه. بدأ بولتن يشعر بشيء من الغضب: «إنك تعتقد أنني أسعى وراء مالك، أليس كذلك؟»

ضحك بتقطع: «ألست كذلك؟ حسناً، لن تحصل عليه، ولا حتى على فلس واحد. لم يترك لها ابني شيئاً. ترك كل شيء للصبي. وأنا مسؤول عن كل شيء.»

تابع بتكبر: «تكلمت مع المحامي وأكد لي أنني أستطيع أن أفعل ما أريد بالمعاش الذي تحبه وتريده هي كثيراً. لذلك من الآن وصاعداً سوف أدخره للصبي. سوف أؤمن له حياة سعيدة، ولكنها لن تحصل على شيء، وكل ما ستأخذه أنت منها هو خزانة ملابسها.»

هز بولتن رأسه، وأخذ يد كلاريس بيده. أما كلاريس

فقالت بمرارة: «لم يترك لي شيئاً لأنك لم تعطه شيئاً، ولم تسمح له بأن يأخذ شيئاً. أردته مرتبطاً بك. فعلت ذلك من خلال كيس النقود الذي تتكلم عنه، حسناً هذا لن ينفع معي. لا يمكنك أن تشتريني كما اشتريت ابنك.»

أجابها وليز: «لقد أحبني ابني!»

أجابته بصوت مرتعش لكنه هادىء: «ابنك لم يحب أحداً ولا حتى نفسه، لم يعرف كيف يحب.»

«هذا كذب.»

«هذه هي الحقيقة. وأنت تعرف ذلك، وهذا يؤلمك، فأنت الملام.»

«لا.»

تحول لون العجوز إلى أبيض، يداها أمسكتا بالكرسي بطريقة شديدة لدرجة أن شرايينها كادت أن تنفجر. لأول مرة رأى بولتن الألم يملأ وجه العجوز. لقد كان صحيحاً ما قالته كلاريس. كان صحيحاً. سواء اعترف أو لم يعترف به، لقد كان يشعر بالندم بخصوص ابنه. فجأة، شعر بولتن بالعاطفة. ليكون المرء مقعداً ووحيداً مع كل هذا الندم أمر صعب. أن يكون المرء بعيداً ومحروماً من الحب... الفكرة ذاتها أثرت في بولتن. ولكن في اللحظة التالية علم أنه لن يمر بذلك أبداً ولا حتى وليز، هذا إذا حاول أن يفهم. تقدم بولتن وانحنى بالقرب من كرسي العجوز، وقال بلطف: «الكل يخطىء، ولكن الله يسامحنا عندما نطلب منه الغفران.»

قال العجوز: «إسأل الغفران أنت عن خطاياك، وبينما أنت تعترف، يمكنك أن تتأكد من نواياك للزواج. الهروب من الفضيحة، الطمع... ليس بالصورة الجميلة لكاهن.»

www.liilas.com

تنهد بولتن: «ليس هناك من فضيحة. هذه نتيجة مخيلتك الواسعة. وأما بخصوص المال فليس له علاقة بزواجي من كلاريس. في ما يخصني يمكنها أن تأتي معي بالثياب التي ترتديها ولا شيء آخر، هي وترنت.»

أقسم العجوز قائلاً: «أبداً.»

هز بولتن رأسه، ونهض ليقف على قدميه: «لا يمكنك منعنا. القرار يعود إلى كلاريس. لا أحد غيرها.»

قال وليز وهو يرفع نظره ليثبته على كنته: «هذا صحيح. القرار يعود لكلاريس. إذاً قرري، يا كلاريس. ولكن تذكري ما سأقوله. ليس القليل من المال الذي تركه والد ترنت كل ما ستخسرينه إذا تزوجت من دون موافقتي، بل ستحرمين ابنك من هذا البيت والثروة، الإسم الذي يعني الكثير في البلدة. هل تسمعين أيتها الفتاة؟ هل تفهمين ما أقول؟ سوف أحرمه من الميراث. سوف أسعى لأن لا يأخذ ولا فلساً إذا أخذته مني.»

حدق بولتن في الرجل، لا يمكنه أن يصدق ما سمعه. يحرم ترنت من الميراث؟ حفيده؟ هز رأسه مصعوقاً. استدار نحو كلاريس وقلبه كاد ينفجر من شدة الغضب. بدت كأنها صفعت، عيناها متسعتان وفمها مفتوح ولونها أصبح داكناً. العيش من دون حب. تساءل بولتن وهو لا يعرف على من كان يشعر بالأسف، لحاله أم لحالها.

رفت كلاريس عينيها، وأخذت نفساً عميقاً. لم تستطع أن تبعد نظرها عن وليز. لم تره يوماً بهذا القدر من اليأس والوحدة. لأول مرة شعرت بالأسف الفعلي له. أقفلت فمها وأخذت نفساً عميقاً وهي حزينة وكئيبة. قام بولتن بحركة

استرعت انتباهها، وبامتنان نقلت نظرها نحوه. لقد كان مصعوقاً، مضطرباً، وعلمت فجاة بما كان يفكر. لا يمكن أن يطلب منها أن تتزوجه لتحرم ترنت من الميراث. أرادت أن تضع ذراعيها حوله وتقول له ان كل شيء سيصبح بخير، لقد كان كل شيء بخير. فالذي كان سيقدمه لابنها أهم بكثير من البيت، الثروة ومن اسم ريفير. لقد علمت الآن أن كل ما قدمه بولتن لابنها من حب، طبيعة، حكمة، شخصية، قوة، أشياء لا تقدر بثمن. هل كان وليز أحمق لهذه الدرجة، ليفكر بأن المال أهم من ابنها؟

علمت فجاة أنها لو كانت تفكر بابنها وليس بنفسها لكانت وافقت. ولكن ما الذي يمكن أن يقدمه بولتن لها؟ أغمضت عينيها لتتذكر كلماته! السيطرة على حياة أحد هي الطريقة الأكيدة لفقدانه، الحب يعيش في جو من الثقة والإحترام والأمان، عليك ان تختاري الحب لتحصلي عليه، يا كلاريس. كارول ذهبت، أحبك أنت، كما أنت، كما ستكونين دائماً. القرار لك. هذا ما قاله ويقوله دائماً لها.

القرار لها، أليس هذا يعني الحرية بنفسها؟ أليس ذلك جوهر الإستقلالية، القدرة على الإختيار؟ لقد منح الإنسان القدرة على الإختيار، ولقد كان ذلك حباً منه. رأت ذلك وفهمته الآن. شكراً على كل شيء.

انني مقتنع بأن القدر يريدنا معاً وسوف تعلمين ذلك يوماً. انها تعلم الآن، تعلم ذلك بكل تأكيد، بشكل لم تتخيله قبلاً وامتلأت عيناها بالدموع. مسحتها، وبلعت ريقها بقوة ورفّت عينيها بسرعة.

سمعت صوت بولتن يقول: «دموع الفرح؟»

www.liilas.com

«نعم، هذه المرة.» بدأت تضحك عندما لاحظت أنها تكلمت بصوت عال. انهمرت الدموع على خديها. رفعت يداً نحو بولتن ورأت صدمته، ومن ثم الراحة، الفخر والحب. قبض على يدها بقوة. وفكرت أنه كاد يكسرها. ابتسمت وقالت: «أحبك، يا بولتن تشارلز، ويشرفني الزواج منك.»

ما هذا القدر من الحب! لم تر يوماً هذا القدر من الحب في عيني رجل. رفع يده نحو خدها، واقترب ليأخذها بين ذراعيه. ضحكت ورفعت رأسها. سألها بهدوء:

«هل أنت متأكدة؟»

«بكل ثقة.»

«ماذا في شأن ترنت؟»

«انه في حاجة إلى أب أكثر من حاجته إلى المال أو أي شيء آخر، ولا يمكن لأحد أن يلعب دور الأب أفضل منك.»

لمعت عيناه بالدموع وهمس: «شكراً» ثم ضمها إليه برقة.

سمعا صوت تيريزا تقول: «سيدة كلاريس.» التفتا نحوها. «هل صحيح ما يقوله الصبي؟ أنك سوف تعيشين مع السيد؟»

ضحكت كلاريس: «سوف نتزوج أولاً، طبعاً.»

ضحكت الخادمة: «أوه، إنني سعيدة من أجلك.»

طلب وليز صارخاً: «توقفي! لم أستدعك إلى هنا لتتمني لهما السعادة. أريد حفيدي. أدخليه.»

خفت فرحة كلاريس قليلاً، ونظرت نحو بولتن. وجهه أصبح قاسياً وقال بحدة: «أعتقد أن علينا أن نبقي ترنت خارجاً، فهو طفل وليس في حاجة لكل هذه القسوة!»

ابتسم وليز ابتسامة واهنة: «خائف؟ خائف من أنه سيختارني.»

«لا تقل لي، يا وليز أنك سوف تسأله أن يختار، لن أسمح بذلك. عليه أن يحبنا نحن الثلاثة ومن دون أن يشعر بالذنب.»

وضعت كلاريس يداً فوق كتف بولتن وقالت برقة: «كل شيء بخير.» هي تعلم ما الذي سيحصل. بدا أن بولتن سيناقش، ولكنه سكت عندما دخل ترنت وهو يركض، ووجهه متشوّق ينظر نحوها.

«مرحبا، يا ترنت.»

«مرحبا أيها الصديق، كيف الأحوال؟»

نظر ترنت نحو جده وقال: «الكل غاضب، أليس كذلك؟»

هز بولتن رأسه وانحنى نحو ترنت: «لا، يا بني وليس منك، كلنا نحبك وهذا لن يتغير.»

هز ترنت رأسه ثم ألقى نظرة نحو أمه: «هل سنعيش مع بولت؟»

«نعم. هل هذا يسرك؟»

ابتسم ووضع يداً خلف عنق بولتن: «طبعاً، وماذا عن جدي؟»

«نظرت نحو وليز ولاحظت تعبير وجهه. فتحت فمها لتتكلم ولكن بولتن سبقها وقال: «يمكنك أن تزور جدك عندما تريد. يمكننا أن نزوره وهو يزورنا. وفي هذه الاثناء ستعتني به تيريزا.»

قال العجوز: «لن أدعهما يأخذانك مني.» استدار الصبي نحوه بلطف.

www.liilas.com.vb

«لا تنزعج يا جدي، سوف يكون كل شيء بخير.» أشار وليز إلى ترنت بأن يقترب. اقترب منه حفيده غير متأكد، ولكنه غير رافض.

قال وليز: «طبعاً كل شيء بخير. والآن اسمعني. انك من عائلة ريفير، وهذا منزلك وليس مع الموقر تشارلز، هل تفهم؟»

عبس ترنت ونظر نحو أمه التي قالت له: «لابأس يا حبي، لا يمكنه أن يمنعنا، يمكننا أن نذهب إلى المكان الذي يعجبنا، وأن نعيش في المكان الذي نختاره. لدينا الحق.»

هز ترنتون رأسه ونظر نحو جده قائلاً بأسف: «ربما تستطيع أن تأتي معنا أيضاً. لا أعتقد أن بولت سيمانع.»

صرخ وليز: «أبداً.» وضرب طرف الكرسي بعنف.

وعد ترنت بيأس: «سوف أزورك إذاً.»

قال الجد بحدة: «لا، لن تفعل، ليس عليك أن تذهب، يمكنك أن تبقى معي.»

«لكن ماما...»

«انك لست في حاجة إليها! انها ضعيفة. سوف تجعلك ضعيفاً. إذا سمحت لها بذلك.»

قال بولتن بحدة وحرارة: «ضعيفة! هل تعتقد أن امرأة ضعيفة كانت ستعيش معك كل هذه السنوات وتجاريك؟ العالم بكامله إذاً كان ضعيفاً.»

«هراء.»

أكد بولتن: «بل هي الحقيقة! فعلت كل ما في وسعك لتجعلها معتمدة عليك، أن تهزمها، أن تبقيها تحت أمرك، ولكنك ستلاحظ أنها ليست معتمدة عليك! إنها تقوم بقراراتها

بنفسها، تعيش حياتها كما تريد دون إذن من أحد، على الأقل دون إذنك.»

«عليها أن تكون ممتنة.»

«لأي شيء؟ للحياة؟ بالطبع ليس لك! ربما لأنها أصبحت شبه سجينة في بيتها، انها أصبحت غير محبوبة، غير قادرة، مجردة من أحلامها وحقوقها، هل هذا ما كان في رأسك يا وليز؟ لهذا يجب أن تكون ممتنة؟ لأن هذا ما أردت أن تفعله بها.»

«لا، لقد حاولت أن أفعل ما هو أفضل لها وللكل.»

سأله بولتن: «هل فعلت ذلك؟ هل أنت قادر على أن تفعل ما هو الأفضل لك، يا وليز؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فإنني لم أر حتى الآن أي دليل على ذلك.»

أصبح الرجل العجوز لأول مرة غير قادر على الكلام، هل من اليأس أو الغضب؟ لم تستطع كلاريس أن تعرف. ولكنها تعرف أنه بدا مصعوقاً، مهزوماً، اللمعان في عينيه كان خافتاً لأول مرة. أمسكت يد بولتن وهي تحس بالشفقة تجاه وليز. ولكن مع شعورها بالشفقة أحست بالندم على كل كلمة قاسية قالتها. أخذت تفكر ببولتن وبحبها له. لم تعد تفهم. شكوكها في انه يعرفها أكثر من نفسها ليفهم ما فهمته هي منذ فترة قصيرة فقط. إنه محق. فهي ليست ضعيفة الشخصية. حتى وليز لاحظ ذلك الآن. مهما بدت حمقاء فهي لم تكن ضعيفة الشخصية. حول قوته الآن نحو الشخص الوحيد العاجز.

قال وليز وهو يمسك بيد حفيده: «ليس عليك أن ترحل معهما.»

www.liilas.com/vb3

قال ترنت بلطف: «ولكني أريد ذلك يا جدي.»

قال العجوز بانزعاج: «لا يمكنك أن تعني ذلك! إنك تفضل البقاء هنا.»

«لا، يا جدي.»

«هذا هو البيت الوحيد الذي عرفته، فلماذا تريد أن ترحل؟»

رفع ترنت نظره نحو بولتن وأمه: «يجب أن ابقى معهما.»

أصر العجوز: «ولكنه ليس والدك، والدك هو ترنت الكبير.»

قال ترنتون بكل الحكمة التي يملكها طفل: «أعلم، ولكنه الآن في السماء. وبولت موجود هنا.»

بدا أن العجوز إنهار كلياً، سقطت يده بعيداً، وتكورت كورقة يابسة إلى جانبه. وقال: «لن أسمح بذلك، يا ترنتون.» حتى هو يعلم أنها المحاولة الأخيرة.

أجابه ترنتون بصوت خافت ومتألم لدرجة أن بولتن وكلاريس اقتربا منه ليساعداه: «إنني آسف يا جدي.»

قالت كلاريس بلطف: «لا عليك يا بني. ليس هناك ما تتأسف عليه، لم نقم بشيء خاطىء»

مال برأسه نحوها: «لا أريده حزيناً.»

قال بولتن بصوت قوي: «لا أحد منا يريده حزيناً، عندما يفهم ذلك فسوف يصبح أسعد.»

نظر ترنت بشك نحو جده العجوز. رأسه كان منحنياً، يداه على جبينه وكتفاه محنيتين. شد بولتن يده على كتف ترنت معزياً وقال له: «اسمع يا ترنت، إذا كنت سترحل، فهذا لا يعني أنه لم يعد جدك ولم تعد تحبه، أليس كذلك؟»

«نعم، صحيح، فلا أزال أحبه.»

«طبعاً. إنك تحبه ويجب عليك ذلك. مهما قال أو فعل فهو جدك، وعليك أن تحبه إلى الأبد. ولكن ليس من السهل دائماً أن تحب، يا ترنت. خصوصاً عندما لا يوافقنا بعض الناس ويعارضوننا أو يؤلموننا بطريقة ما. الحب هو اختياري، علينا أن نختار مرة بعد مرة، حتى عندما يكون علينا أن نقوم بأشياء صعبة، حتى لو لم نسعد بعضنا أحياناً، علينا أن نستمر في الحب. عليك أن تفهم ذلك الآن يا ترنت، لأنني أريدك أن تعرف أنني اخترت أن أحبك أنت ووالدتك وجدك. سوف أختار دائماً ان أحبك. هذا هو وعدي لك.»

نظر نحو كلاريس وعيناه تلمعان: «لكم جميعاً، مهما حصل.» نظر مجدداً إلى الصبي. «جدك يحتاج لأن يعلم بأنك تحبه يا ترنت، وأنك ستفعل هذا دائماً.»

أضاف الصبي بهدوء: «مهما حصل.»

ابتسم بولتن: «مهما حصل.»

تراجع إلى الوراء، ووقف إلى جانب كلاريس ممسكاً بيدها كأنه لا يريد أن يترك يدها أبداً. ومعاً راقبا ابنهما ـ طبعاً ابن بولتن بالروح وابنها باللحم ـ اقترب الصبي من جده ووقف هناك منتظراً. أدار وليز رأسه بعيداً، ولكن ترنت لم يتردد، بل اقترب من الكرسي ووضع يده حول عنق العجوز. وبكل انتباه وضع رأسه على كتف وليز. لم يقل شيئاً، ولم يتحرك إلا بعدما بدت تلك الكتف تهتز بقوة العاطفة الدفينة. ثم أخذت يد ترنتون الصغيرة تربت بعطف على عنق الجد بقوة

www.liilas.com/vb3

غريبة. بعد دقيقة، سمع بولتن أنيناً مثيراً للشفقة من العجوز الذي رمى بذراعيه حول الصبي وشده نحوه بقوة وهو يبكي بوضوح.

أغمضت كلاريس عينيها، ووضعت رأسها على كتف بولتن. لم تعرف إلى متى وقفا كذلك. ربما لدقائق أو لساعة. أخيراً بدأ العجوز بالسيطرة على نفسه، ومسح وجهه ورفع رأسه بطريقته المعتادة، تجاهلها هي وبولتن، وعلمت كلاريس أنه لن يناقش ما قد حصل بينهم مع أي واحد منهما، ولن يقول ولا كلمة امتنان للرجل الذي علمهم كل شيء عن الحب. ولكن ذلك لا يهم، لأنها تستطيع أن تسامح وتحب بطريقة لم تتصورها معقولة يوماً في حياتها.

خاطب الصبي قائلاً: «عليك أن تأتي لزيارتي... دائماً سو... سوف نتكلم، نفعل ما يفعله كل جد مع حفيده، لست أكيداً من أنني أعرف ما هو، ولكن لا تخف. سوف نتذكر والدك طبعاً. نحن... أنا مدين له بذلك.»

هز ترنت رأسه وهو لا يزال على كتف جده. ربت وليز على يده. لقد كان ذلك الإيماء الأكثر عاطفة في حياته. هذا ما فكرت به كلاريس وهي تراقبهما.

قال وليز: «أسمع أنك لاعب بيسبول جيد.»

ابتسم ترنتون: «هل تحب البيسبول يا جدي؟»

«لا يمكن أن أقول انني أحبها. ولكن أريد أن أسمع كل شيء عنها على أي حال.»

ربت بولتن على يد كلاريس، وأشار باتجاه الباب، ثم همس وهما يخرجان على أطراف أصابعهما: «دعيهما

يتكلمان وحدهما. أعتقد أننا وجدنا الحل للجميع. لن نؤذي أحداً لو تركناهما وحدهما قليلاً.»

سألت كلاريس فيما كانت تتأرجح على الدرج: «كيف عرفت؟»

«عرفت ماذا؟»

«عرفت ما تقوله لوليز. أعني ما قلته لترنت أمام جده.» سألت وهي تصعد نحو الدرج لتستدير وتواجهه: «أعتقد أن ذلك كان حظاً.»

هز رأسه: «لا. لا أؤمن بالحظ. أؤمن بالمساعدة، بالحقيقة والإيمان. أؤمن بالحكمة. أؤمن بمشيئة القدر. اعتقد أن الحب هو معجزة، نعجز عن فهمها.»

قالت بلطف: «ليس بعد الآن، وليس الآن.»

وضع ذراعه حولها: «رائحتك ذكية.»

«أنت أيضاً.»

قال: «لن تدعيني منتظراً كثيراً. أليس كذلك؟»

رفعت رأسها نحوه: «لن أدعك. هل يوم غد قريب جداً؟»

قال برقة: «البارحة لم يعد قريباً. للأبد لن يكون طويلاً. أريد أن أعرف كل شيء عنك إذا سمحت لي.»

همست وهي تشعر أن قلبها كاد يطير من شدة الفرح: «بكل طيبة خاطر.»

ضحك وقال: «أعرف ذلك.» ثم أخذها بين ذراعيه وعانقها.

صوت حنون ومألوف قاطعهما: «أوه، هل ستقومان بذلك كثيراً من الآن وصاعداً؟»

نظرت كلاريس نحو بولتن وهي تحاول أن تبتعد، ولكنه

www.liilas.com/vb3

منعها. نظر نحو الصبي وهو يبتسم وقال بصراحة: «نعم من الآن وصاعداً.»

حدق ترنت بهما ورفع كتفه: «حسناً.» ولكنه لم يفهم لماذا. برغم ذلك سوف يحتمل سخافتهما. استدار نحو الباب وعندها ظهر القط، ولسانه الصغير الزهري يلعق فمه، كأنه قد تناول لتوه وجبته من الحليب وهذا ما قد فعله.

«تعال يا جنرال توم. أريد أن أحضر ما تبقى من افخاخي المطمورة في الرمل، سوف نحظى بمنزل جديد، عائلة جديدة، كنيسة وكل شيء. حتى أن هناك ابريق من الشاي على الشجرة و...» تابع حديثه مع قطه، ولكنه أقفل الباب ليخفي ما كان يقوله. لم يبد على القط جنرال أنه متأثر. ولكن لماذا يتأثر؟ إنه قط وهو لا يهتم لا بالشاي ولا بالأهل أو بالجد، أو الحب أو بأي شيء غير حليبه.

ضحك بولتن وأعاد اهتمامه إلى المرأة التي بين ذراعيه وقال: «يبدو أننا قد أخذنا الموافقة. فلماذا لا نتابع ما كنّا نفعله قبلاً؟»

قالت: «طبعاً.»

كم تحبه! تحبه بكل جزء منها. مبتهجة بصورة الصبي الذي غادرهما وهو يثرثر مع قطه بطريقة لطيفة. قالت له: «تابع.»

تابع، نعم، تابع بكل سرور.

تمت